

حركة الترجمة والتعريب في

ديوان الإنشاء المملوكي

(البواعث واللغات والمترجمات)

أ. د. سمير الدروبي

قسم اللغة العربية - جامعة مؤتة

مما لا شك فيه أن دولة كبرى كدولة المماليك التي ورثت مملكة الأيوبيين وامتد حكمها قرابة ثلاثمائة سنة (٦٨٤-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، وسيطرت على رقعة واسعة من الأرض شملت مصر والشام وشمال العراق والأجزاء الجنوبية من بلاد الأناضول (تركيا في الوقت الحاضر) والجزيرة العربية، وبرقة وبلاد النوبة، كانت حركة الترجمة والتعريب ضرورة ملحة لديها، بل هي من مستلزمات بقائها، وتنظيم علاقاتها مع جيرانها والقوى العالمية آنذاك، وخاصة إذا علمنا أن هذه الدولة الفتية قامت في مصر في ظروف دقيقة جداً تجلت في الزحف المغولي المخرب الذي اجتاح مشرق العالم الإسلامي، وتهاوت أمامه الدول الإسلامية تباعاً من جانب، وفي الوجود الصليبي في الساحل الشامي من جانب آخر.

وقد استطاعت هذه الدولة الناشئة أن توقع أول هزيمة ساحقة بجيش المغول الجزائر في سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م. وتكون بذلك قد أنقذت مصر والشام والأماكن المقدسة في فلسطين والجزيرة العربية، وبقية العالم الإسلامي من سقوط وشيك في براثن المغول التي لم ترحم إنسانية، ولم تبق حضارة، بل إن دولة المماليك استطاعت أن تسحق الوجود الصليبي في الشام على أيدي قادة عظام ككبيرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل بن قلاوون وهي بذلك قد خلصت العالم الإسلامي من التحالف المغولي الصليبي^(١) الذي كان داءً وبيلاً يمكن أن يأتي على الإسلام وأهله لو تحققت له فرص النجاح.

(١) انظر : الباز العريني: المماليك: ٥٠.

وبناءً على خطورة الدور الذي اضطلعت به هذه الدولة، وضخامة الإنجازات العسكرية والاقتصادية والعلمية التي حققتها فإن حركة الترجمة والتعريب كانت من مستلزمات هذا الكيان، ومن أوثق الأسس لبقائه وتمكينه.

والدارس لذلك العصر، والمتتبع لمصادره الأدبية والتاريخية بحثاً عن الترجمة وما يتعلق بها من بواعث وأسباب، و مترجمات ولغات، يستطيع أن يرجع بواعثها إلى عوامل: السياسة والاقتصاد والحرب، والعلم والدين والمجتمع، مما يجعل هذه الأسباب غير مختلفة عن نظيراتها في العصر الحاضر.

المبحث الأول

بواعث الترجمة والتعريب وأسبابهما

لعل أظهر أسباب التعريب والترجمة هم المماليك أنفسهم الذين جلبوا إلى مصر على أيدي الأيوبيين ولا سيما الصالح أيوب بن السلطان الكامل الذي أكثر من شرائهم، وأطلق عليهم اسم البحرية، وعينهم أمراء في دولته وصاروا بطانة له يسكنون في قلعة الروضة بمصر^(٢). أما موطن المماليك البحرية الذين عرفوا بالأتراك فهو بلاد القَبْجَاق*، فالملك الظاهر بيبرس (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ولد بأرض القبجاق سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م. وأسر ثم جيء به إلى مصر^(٣)، وكذلك الملك المنصور سيف الدين قلاوون (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) من جنس القبجاق اشتراه علاء الدين اقسنقر أحد ممالك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار فعرف من ذلك بالأنفي^(٤).

ولما استقل المماليك بزعامة المعز عز الدين أيك الجاشنكير التركماني (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م دأب سلاطينهم على استجلاب المماليك من مختلف الأجناس: "الترك والجركس والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك"^(٥) "بأعداد كبيرة جداً جاوزت المئين إلى الألوف، ويصف لنا المقرئ ذلك قائلاً: "واستجلبوا من المماليك التي تجلب من بلاد الترك شيئاً كثيراً حتى يقال: إن عدة ممالك الملك المنصور قلاوون كانت سبعة آلاف مملوك

٢. انظر: المقرئ، السلوك: ٣٣٩/١-٣٤٠.

*. القبجاق: "فرع من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر إرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إتل (الفلجا) جنوبي روسيا الحلية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق، كما عرفت به أيضاً دولة المغول المسماة باسم القبيلة الذهبية"، المقرئ، السلوك: ٦٦٣/١، حاشية (١).

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣٢٩/١.

٤. المقرئ، السلوك: ٦٦٣/١.

٥. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢١٦/٤.

ويقال: : اثني عشر ألفاً، وكانت عدة ممالك ولدته الأشرف خليل بن قلاوون اثني عشر ألف مملوك" (٦).

وإذا ما تجاوزنا المثالين السابقين في كثرة استجلاب الممالك في الدولة المملوكية البحرية إلى الممالك في الدولة المملوكية البرجية، فإننا نجد أن الظاهر برقوق (ت ٨٠١هـ/١٣٩٩م) قد جلب ما يزيد على أربعة آلاف مملوك أغلبهم من الجراكسة (٧) الذين علل القلقشندي كثرتهم بميل برقوق إلى أبناء جنسه من الجراكسة (٨).

وإذا ما اعتبرنا عدد سلاطين الممالك وهم سبعة وأربعون سلطاناً إلى كثرة ما استحضروه من الممالك صغاراً وكباراً، وجدنا سيلاً بشرياً أعجيباً متدفقاً على مدار ثلاثمئة سنة تقريباً، والأعم من ذلك أن الحكم والسيادة والقوة العسكرية كانت حكراً على أولئك الطارئين الجدد الذين تعصبوا لأجناسهم، وإن اختلفوا فيما بينهم أحياناً صراعاً على الحكم.

وبناءً على ما تقدم فإن تعريب الممالك كان ضرورة حيوية لبقاء الدولة من جانب وللتوحيد اللغوي والثقافي لأجناس الممالك من جانب آخر، ولكن الاستجابة لحركة التعريب كانت تلقى قبولاً تاماً من الممالك الصغار الذين عرفوا بالكتابة وذلك لمناسبة سنهم للتعليم (٩) وقد أبدى المقريزي لنا إعجابه بهذه المدرسة العسكرية الكبرى (مدرسة الطباقي) التي تقوم بتعريب الممالك وتعليمهم وتنشئتهم تنشئة عربية إسلامية قائلاً: "وكانت للممالك بهذه الطباقي عادات جميلة، أولها: أنه إذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان، ونزلة في طبقة جنسه، وسلّمه لطواشي برسم الكتابة، فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم،

٦. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٩٥/١.

٧. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٩٥/١.

٨. القلقشندي، صبح الأعشى: ٤٦٢/٤، ٤٥٨.

٩. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١١٩/١٤.

وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم، وبأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى، ومعرفة الخط، والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار، وكان الرسم إذ ذاك أن لا تجلب التجار إلا المماليك الصغار، فإذا شبّ الواحد من المماليك علّمه الفقيه شيئاً من الفقه، وأقرأه فيه مقدمة، فإذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب....^(١٠).

وقد ترتب على هذه الحركة الإيجابية لتعريب المماليك أن تهذبت أخلاقهم وعظموا الإسلام وأهله، وأصبحوا فرساناً للإسلام، بل إن بعضهم "من يصير في رتبة فقيه عارف، أو أديب شاعر، أو حاسب ماهر"^(١١)، ومع هذه الجهود الحثيثة التي بذلتها مدرسة الطباق في تعريب المماليك إلا أن مجيء بعضهم كبيراً. وعدم دخولهم لهذه المؤسسة التعليمية التي تصقل ألسنتهم بالعربية، كان له آثار تدميرية على المماليك أنفسهم، وعلى العربية نفسها، وتمدنا كتب التراجم بنماذج من أمراء المماليك وسلاطينهم وأفرادهم الذين لم يتعلموا العربية بتاتاً، أو ترفعوا حتى عن الحديث بها، أو نالت اللغات الأعجمية منهم عناية تفوق عنايتهم بالعربية.

فسيف الدين بُشتاك الناصري (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) الذي كان من أكابر أمراء الدولة وأعيانهم، وكان مقرباً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولكن بُشتاك كان تياً صلفاً لا يتكلم بالعربية، ولا يخاطب الناس إلا بترجمان^(١٢)، وألماس الحاجب الناصري الذي كان ينوب مناب السلطان حال غيبته كان لا يفهم بالعربية شيئاً^(١٣).

١٠. المقرئزي، المواعظ والاعتبار: ٢/٢١٣.

١١. المقرئزي، المواعظ والاعتبار: ٢/٣١٤.

١٢. ابن حبيب الحلبي، تذكرة النبيه: ٣/٣١.

١٣. ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة ١/٤٣٨-٤٣٩، الصفدي، الوافي: ٩/٣٧١.

وعلاوة على الأمراء فإن بعضاً من سلاطين المماليك كالظاهر ططر (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) كان شديد العناية بلسان الأتراك، وكانت لديه مكتبة ضخمة باللغة التركية، كما أمر بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللغة التركية^(١٤).

وحافظ المماليك على زي خاص يميزهم عن العرب، وكان الزي التركي أثيراً لديهم^(١٥)، وكانت اللغة التي يسمر بها بعضهم أحياناً غير العربية، فعندما جاء حمزة التركماني من الشرق اتصل بخدمة الأمير سيف الدين تنكز الحسامي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) الذي كان نائباً لدمشق، وكان حمزة التركماني يسامر تنكز بأخبار رستم المذكور في ملحمة الشاهنامة^(١٦).

وفوق عصبية المماليك لأجناسهم وألسنتهم وتميزهم بأزياء خاصة، فإنهم حافظوا على أسمائهم التركية أو المغولية، ووجدوا من المؤرخين من يفسر معانيها لهم، فمثلاً أرتامش يعني بالتركية فضلة، وبُطا معناه الجمل الصغير، وطُرنا يعني كركي، وتغري بردي يعني الله أعطى، وجانبك معناه أمير روح^(١٧).

ويتبين لنا مما تقدمت الإشارة إليه أن حركة الترجمة والتعريب كانت ضرورية لتحقيق التجانس الثقافي، والتواصل المعرفي، ولبقاء لغة العرب حية في مؤسسات الدولة المختلفة وبخاصة ديوان الإنشاء الذي صدرت عنه جميع المكاتبات في التعيينات والاقطاعات إلى المماليك.

وثمة دافع آخر لا يقل عن سابقه أهمية وهو الباعث العسكري المتمثل في تأمين حدود الدولة، وذود أعدائها، ومعرفة مخططاتهم المسبقة، وما يجري حولها من أحلاف وتجمعات دولية، والقاء القبض على عملاء الأعداء وجواسيسهم.

١٤. العيني، عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٥٧.

١٥. الفلقشندي، صبح الأعشى: ٣٩/٤.

١٦. الصفدي، الوافي: ١٨٩/١٣.

١٧. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢٩١/٢، ٣٨٠/٣، ٤٢١/٣، ٣٥/٤، ٢٢٢/٤.

وقد نجحت الدولة المملوكية نجاحاً كبيراً في هذه الناحية، وجعلت أمر العيون والجواسيس منوطاً برئيس ديوان الإنشاء، ومن مهماته التي يتصرف بها، وتعتمد على تدبيره، ويوضح لنا القلقشندي ذلك بقوله: "وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة. وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره، وإليه رجوع تدبيره، واختيار رجاله وتصريفهم، فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريدية والرسول؛ لأن الرسول قد يتوجه إلى العدو وغيره، والجاسوس لا يتوجه إلى العدو، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر، وعليه معتمد، وبه فاعل" (١٨).

ويلاحظ أن مؤسسة ديوان الإنشاء قد وضعت شروطاً لمن ينتدبون لهذا العمل (الجاسوسية) أو يقومون به، وأهم هذه الشروط: الفراسة، والحدس الصائب، وصدق النصيحة، والدهاء والحيلة، ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها، والصبر إلى غير ذلك من الصفات الأخلاقية والجسمية، ولكنهم عدّوا معرفته بلغة القوم الذين يتوجه إليهم من أخص هذه الشروط، يقول القلقشندي: "ومنها أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها؛ ليلتقط ما يقع من الكلام فيما ذهب بسببه ممن يخالطه من أهل تلك المملكة، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ولا يكون مع ذلك ممن يتهم بممالة أهل ذلك اللسان، من حيث إن الغالب على أهل كل لسان اتحاد الجنس، والجنسية علة الضم" (١٩).

ومما أضيف إلى مهام رئيس ديوان الإنشاء: النظر في أمر الفداوية أو المجاهدين، وهم جماعة من الإسماعيلية الذين يستوطنون عدداً من القلاع المحصنة بين حماة وحمص، وكانوا يقومون باغتيال خصوم الدولة، أو الفارين منها، إن دعت الحاجة إلى ذلك (٢٠)، وبما أن مهمتهم كانت تقتضي العمل في

١٨. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢٣/١.

١٩. المصدر السابق: ١٢٤/١.

٢٠. القلقشندي، صبح الأعشى: ١١٩-١٢٢.

البلدان الأجنبية فإن تعلمهم للغاتها كان من شروط إرسالهم إليها، شأنهم شأن الجواسيس الذين يعبر عنهم أحياناً بلفظة القُصاد.

وقد اهتم الظاهر بيبرس بأمر القُصاد اهتماماً عظيماً، وأنفق فيهم الأموال الوفيرة: لأنهم يغررون بأنفسهم ويحملونها على الخطر في الدخول إلى بلاد الأعداء تعرفاً على مخططاتهم، ورصداً لتحركات جيوشهم حتى وصف بأنه "لم يزل مهتماً بأمر الأعداء، ومحتزراً من مكائدهم، وآخذاً بالحزم في أمورهم، وقصاده لا تنقطع من بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم"^(٢١).

وكان قُصاد بيبرس منتشرين في بلاد التتار والأرمن وبقية معاقل ومدن الفرنج بالساحل الشامي، فعندما بعث هلاون جاسوسين إلى دولة المماليك كانت المطالعات بأخبارهما ترد أولاً بأول حتى ألقى القبض عليهما في القاهرة^(٢٢)، كما أنه كان على علم بحركة الفرنج في سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، فأخذ أهبطه لذلك خوفاً من قيامهم بحملة صليبية جديدة على أحد ثغور الدولة المملوكية^(٢٣).

وعلاوة على ذلك فإن جواسيس الأعداء من صليبيين وتتار كانوا مندسين ومنتشرين في أرض الدولة المملوكية بل في الجيش المملوكي نفسه، فعندما كان بيبرس محاصراً لحصن القرين ببلاد الشام سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م: "وبينما كان السلطان واقفاً لنصب المنجنيقات وردت رسل عكا، واتفق أن السلطان يرمي نشاباً على القلعة مرّ به طائر فرماه، فإذا فيه بطاقة من جاسوس في العسكر مضمونها أخبار السلطان، وذلك بحضور كبير الرسل، فسلم الطائر له، وقال: "استصحبه معك ليقرأه الفرنج، فهذه البطاقة كتبها إليكم جواسيسكم"^(٢٤).

٢١. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر: ١٣٥

٢٢. المصدر السابق ١٩٥.

٢٣. المصدر السابق ٣٧٠.

٢٤. المصدر السابق ٣٨٦.

وتصور لنا الرسالة التي بعثها الأمير أقوش الأفرم (ت بعد ٧٢٠هـ/١٣٢٢م) إلى ابن سعيد الدولة مشير السلطان المملوكي وجليسه آنذاك مقدار عناية الدولة بالقصاد، وحرصها على استمرار عملهم، لأهميتهم القصوى لأمنها، يقول الأفرم مخاطباً ابن سعيد الدولة وموبخاً له على تنقيصه لراتب أحد القصاد وهو ضوء ابن صباح: "والك،(*) يا ابن سعيد الدولة، ما أنت إلا ابن تعيس الدولة، والك وصلت إلى أنك تقطع جوامك (رواتب) القصاد الذين هم عين الإسلام، ومن هذا وأشباهه. والله إن عُدت تعرّضت لأحد في الشام بعثت من يقطع رأسك ويجيء به في مخلاة" (٢٥).

ويبدو من الأخبار المتعلقة بالقصاد والعيون أنهم قد تمكنوا من مدّ الدولة بالمعلومات الرئيسية الحيوية عن تحركات الأعداء واستعداداتهم، فالمخابرات المملوكية استطاعت معرفة أمر الحشود الإفرنجية في قبرص بزعامة ملكها الذي خطط لغزو الإسكندرية ونهبها، وآية ذلك أن الأمير يلبغا الخاسكي عندما دخل الإسكندرية بعد غارة القبرسي المدمرة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م: "ورأى ما آل أمرها إليه من الهدم والحريق، والقتلى المطروحة بظاهرها وباطنها، بكى ما أصابها وأصاب أهلها في أيام عزه وحكمه، فلام نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العمارة بجزيرة قبرس" (٢٦).

فجواسيس الدولة أخبروها بأمر الاستعدادات العسكرية الصليبية بقبرس، وهذا ما عبر عنه بـ "العمارة" ولكن حاكم الإسكندرية لم يحمل الأمر على محمل الجد، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة قراصنة الإفرنج في البحر.

ولما كانت الجاسوسية عملاً متبادلاً، ولم تستطع الدولة المملوكية منع جواسيس الأعداء من دخول أراضيها أحياناً، فإنها قامت بتجنيد جواسيس الأعداء لصالحها ما

*. كلمة عامية ما زالت مستخدمة في لغة بلاد الشام ويخاطبون بها من يريدون الحط من قدره أو توبيخه.

٢٥. الصفدي الوافي بالوفيات: ٣٣٠/٩.

٢٦. النويري، الإلمام: ٢١٢/٣.

استطاعت إلى ذلك سبيلاً، مع اطلاعهم على بعض الأمور، وقد وصف لنا الفلقشندي ذلك: "والطريق في ذلك أن يتلطف إلى أن يصير جاسوس عدوه جاسوساً له، بأن يتودد إليه بالاستمالة والبر وكثرة البذل، حتى يستخرج نصيحته، فحينئذ يلقى إليه ما أراد تبليغه إلى صاحبه الأول مما فيه المكيدة، فيوصله إليه، فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره مما يتهمه"^(٢٧).

واستطاعت الدولة عن طريق الجواسيس الترجمة أن تقف على تحركات الأعداء ومخططاتهم نحوها، واتصالاتهم الداخلية والخارجية عبر أراضيها، ومثال ذلك أن ملك الحبشة إسحاق بن داود بن سيف بن أرعد الملقب بالحطي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) قد كاتب ملوك الإفرنج داعياً لهم إلى غزو الدولة المملوكية، ونسق معهم الخطة الحربية المناسبة، وذلك بقدمهم بحراً من الشمال، وهجومه براً من الجنوب^(٢٨)، ولكن الدولة المملوكية عرفت بالأمر، وألقت القبض على حَمَلَة رسائل ملك الحبشة إلى الأوروبيين.

ولم تقتصر الحاجة إلى الترجمة على جمع أخبار الأعداء، ومراقبة تحركاتهم والاستعداد للتعامل معهم، وكشف جاسوسيتهم المضادة، بل تعدى ذلك إلى الحاجة إليها في ميدان المعركة، وفي أثناء الحصار والمنازلة، فقد روى ابن شداد خبراً طريفاً يتعلق بمشاركة المترجمين للوحدات العسكرية في الحرب، فخلال حصار بيبرس لقلعة الشقيف: "ورد قوم مسلمون من عكا، ومعهم كتب من أهل عكا إلى من بالشقيف من النواب، وكانت الكتب أوراقاً مقصوصة عوض الكتابة بالخط الفرنسي، فترجمت فكان مضمونها: "لا يهولنكم نزول هذا العدو عليكم، وقاتلوه أشد القتال، وإن احتجتم إلى شيء تصرفونه فيما يعينكم عليه فخذوا من فلان، وسمّوا لهم رجلاً، وذكروا أموراً باطنة تؤكد وصاياهم لهم. وكان بالشقيف رجل قد صادروه فأوصوهم في الكتب بتطبيب قلبه، وإعادة ما كان أخذ منه خوفاً

٢٧. الفلقشندي، صبح الأعشى: ١/١٢٦.

٢٨. انظر المقرئزي، درر العقود الفريدة: ٢/٢١٣. وانظر شافع بن علي، حسن المناقب السرية: ٢٨٤.

من مخامرته (خيانته)، فلما وقف مولانا السلطان على ما في الكتب من الأسرار، أمر أن يكتب مثلها وأن يُزاد فيها: " وإن أنتم رأيتم من أنفسكم عجزاً عن قتاله فسلّموا الحصن إليه، واجعلوا فيما تشرطون عليه سلامة أنفسكم وأولادكم وحريمكم"، ثم بعث بها وزاد في مضايقة الحصن، فلما وقفوا على الكتب وتيقنوا صحتها بما وجدوا فيها من العلامات التي لا يمكن أن يطلع عليها سواهم، رأوا من الرأي أن يبعثوا إلى السلطان يطلبوا منه الأمان على الحريم والولدان عند علمهم باستظهاره عليهم، وعجزهم عن حفظ الحصن، فأجابهم إلى ذلك وتسلمه منهم^(٢٩).

فالنص المتقدم يكشف لنا بجلاء عن مدى أهمية الترجمة وخطرها للدولة المملوكية في الحرب والسلم من جانب، كما يوضح لنا أمر استصحاب الممالك لـ "جميع كتاب الإنشاء، خلا طائفة يسيرة منهم"^(٣٠) في حملاتهم الحربية، لما قد يحتاجون إليه من مهام كتابية في أرض المعركة.

وفوق ذلك فإن دولة المماليك أرسلت رجالها العارفين بلغات الأعاجم من فرنج وتتار لاغتيال ملوكهم أو أمراء المماليك الفارين إلى الممالك المجاورة^(٣١).

والدوافع العسكرية للترجمة في ديوان الإنشاء كثيرة، والحديث عنها يحتاج إلى بحث منفرد يكشف عن كثير من جوانبها الخفية، وذلك مما وقفت عليه في

٢٩. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٢٦٩-٢٧٠، وانظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة: ١١٥و.

٣٠. ابن شداد تاريخ الملك الظاهر ١٧٠.

31. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٤/٢٢٠، عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب: ١٩٨-١٩٩:

CI-CAHEN و"la chronique de Kirtay et les Francs de Syrie", in journal Asiatique, janvier-Mars 1937, pp.140-145..

بعض المصادر والوثائق التي لم تصل إلى أكثرها أيدي الباحثين المعاصرين، أو هي مجهولة عندهم وذلك لعدم الكشف عنها أو صعوبة الوصول إليها^(٣٢).

وإذا ما تجاوزنا الأغراض والبواعث العسكرية لحركة الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي فإن الأسباب الاقتصادية لا تقل عنها أهمية وخطراً، وأهم البواعث الاقتصادية الدافعة للترجمة: التجارة والذهب.

أما التجارة التي كانت أهم أسباب ثراء الدولة المملوكية وقوتها الاقتصادية، فقد كانت إحدى ساحات الحرب بين المماليك والباباوات الذين ما توقفوا عن إصدار قرارات الحرمان والتحریم ضد الأوروبيين الذين نشطوا في التجارة مع المماليك، وخاصة بعد استرداد المماليك لعكا من الصليبيين سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، فقد قام أحد خبراء الكنيسة وهو مارينو سانودو تورسيلو بتأليف كتاب "أسرار حماة الصليب" في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي محاولاً إقناع الأوروبيين بأن قطع التجارة مع المماليك هو السبيل إلى نضوب موارد ثروتهم وبالتالي إضعافهم وهزيمتهم عسكرياً^(٣٣).

لكن التجارة مع المماليك كانت مصدراً لإدراج الأرباح الوفيرة على التجار الأوروبيين مما جعل البابا يسمح لهم بالمتاجرة مع المماليك في أغلب السلع سوى ما يمكن أن يقوي المماليك عسكرياً^(٣٤).

وقد أدرك المماليك أن الحرب الاقتصادية التي شنها عليهم الصليبيون لا تقل ضراوة عن مواجهتهم الحربية لهم، فهم يريدون حرمانهم من مصادر ثروتهم الطائلة، ومن مصادر قوتهم العسكرية ممثلة في المماليك الصغار الذين يجلبون لدولتهم تمهيداً لتربيتهم تربية عسكرية، وتعريبهم ثم إدخالهم للجيش المملوكي^(٣٥).

٣٢. انظر على سبيل المثال: شافع بن علي العسقلاني، الفصل المأثور: ٤٠ و ٥٧ ط؛ بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة: ٧٥-١٢٠ ط.

٣٣. انظر، آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى: ٣٨٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية: ١١٣٨/٢-١١٤٩.

٣٤. انظر آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي: ٣٨٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية: ١١٤٤/٢.

٣٥. انظر: هايد، تاريخ التجارة في العصور الوسطى: ٤٠/٣، ٥٤/٤.

وبناءً على ما سبق فإن المماليك، قاموا بتنشيط حركة التجارة مع أغلب الدول والإمارات والشعوب القائمة آنذاك، وقد تمثلت جهودهم في هذا المضمار في:

أ- حرص سلاطين المماليك على سمعة بلادهم التجارية عند ملوك الإفرنج وتجارهم، فعندما ألقى نائب طرابلس الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م، القبض على أحد قراصنة الإفرنج وأرسله إلى السلطان ادعى ذلك الرجل أنه تاجر وليس قرصاناً، وأقنع السلطان والأمراء بصحة دعواه، فقال السلطان للأمراء: "أبصروا نائب الكرك إيش عمل في بلادي ويريد يفسد عليّ التجار، ويجعل سمعتي نحس عند الإفرنج وملوك البحر" (٣٦).

ب- تقدير التجار واحترامهم وبخاصة الكبار منهم لما لديهم من ثروات مادية ضخمة، تقديراً لدورهم في نمو الحركة التجارية، فوجيه الدين محمد بن علي التكريتي (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م) كان "معظماً عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر ... وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك، حتى ملوك الفرنج في السواحل، وفي أيام التتار وهولاكو" (٣٧)، ويذكر ابن حجر العسقلاني واحداً من أثرياء التجار في العصر المملوكي وهو محمد بن مسلم (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) الذي كان له الحظ الوافر في التجارة وفي العبيد السفارة فكان يرحل (كذا) إلى الهند والحبشة واليمن والتكرور ويعودون له بالأرباح الكثيرة المفرطة" (٣٨).

أما التجار الكارمية الذين شكلوا طبقة كبيرة متميزة من التجار في ذلك العصر، فقد شجعتهم دولة المماليك لما لهم من نفوذ تجاري ممتد من مصر إلى الهند تجلى في محطاتهم وفنادقهم ووكالاتهم

٣٦. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر: ٢٣٨.

٣٧. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ١٩٣/٢، وانظر: ٢٩١/٢.

٣٨. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ٢٦/٥.

ومراكزهم التجارية من جانب، ولما قدموه من ضرائب ومدفوعات عززت الخزينة المملوكية من جانب آخر^(٣٩).

ولم يقتصر تقدير الدولة المملوكية على رعاية التجار الذين كانوا من رعاياها بل قامت سياستها الاقتصادية على استجلاب التجار واستقدامهم من كل الأمم والأجناس والإحسان إليهم، فقد كتب المنصور قلاوون أماناً لكل التجار من كل البلاد تشجيعاً لهم على القدوم إلى دولة المماليك^(٤٠)، ونجد في وثيقة أخرى تخص تجار الفرنج أنه: " لا يتعرض لهم ببلص ولا يجدد عليهم حوادث لا في البر ولا في البحر"^(٤١).

ج - عقد الممالك المعاهدات والمراسيم والأمانات التجارية^(٤٢) مع الجمهوريات الإيطالية، والممالك الأوروبية المختلفة، وقانات التتار، وسلطين الهند، وأغلب الكيانات السياسية المعاصرة لهم، مانحة لهذه الدول امتيازات تجارية كثيرة، مما أدى إلى إقبال هذه الدول على المتاجرة مع المماليك، وإرسال تجارها إلى أراضيهم، فأصبحت مدن الشام ومصر وموانئها كالقاهرة ودمشق وحلب والإسكندرية وبيروت واللاذقية تعج بالتجار والجاليات الأجنبية من مختلف الأجناس والألسنة. وفوق ذلك فإن مثل هذه المعاهدات قد سهّلت مجيء القناصل الأوروبيين، حيث وجد قناصل لبرشلونة والبندقية وفرنسا

٣٩. انظر: صبحي ليبب: "التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى" المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٢م، المجلد الرابع، العدد الثاني، ص ٥-٥٣.

٤٠. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ١٣/٣٤٠-٣٤١

٤١. انظر: مثل هذه الوثائق والمراسيم والأمانات والعقود عند: M. Amari, I diplomati Arabi del R. Archivio Fiorentino (Firenze 1863) PP.165-236

٤٢. انظر: Maximiliano A. Alarcon Y.Santon and Ram'on Garcia De Linares, Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De La Corona De Ragon, (Madrid 1940) PP.372-390

وبيزا وجنوة وفلورنسا وفرسان الاستبارية وغيرهم في كثير من مدن الدولة المملوكية^(٤٣).

وتعزيزاً لمكانة القناصل المعتمدين عند الدولة المملوكية فإنها قد أعطت كل قنصل صلاحيات تجارية وقضائية فيما يتعلق بطائفته، بل إن الدولة صرفت له راتباً خاصاً (جامكية)، وأمنت إقامته في فندق كبير هو وأفراد طائفته بما تشتمل عليه هذه الفندق من مستودعات ومرافق مختلفة^(٤٤).

أما عن دور التراجمة في التجارة فقد كان عظيماً، لأنهم الوسطاء الذين يقومون بالتفاهم بين المتبايعين من عرب وغيرهم من أرباب الألسنة. ولذلك قلماً تخلو وثيقة من الوثائق التجارية الصادرة عن ديوان الإنشاء المملوكي من الإشارة إليهم ، فقد جاء في إحدى المعاهدات التجارية التي وقعها المماليك مع جمهورية فلورنسا سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، ما نصه: " سأل المذكورون صدقاتنا الشريفة أنه إذا حضر جماعة الفرنتين الثغر السكندري المحروس أو إلى ثغر من الثغور الإسلامية وحضروا ببضاعتهم إلى فندقهم أو مخزنهم يبيعون بضاعتهم بالقياس أو بالنقد لمن يختاروه (كذا)، وبعد ذلك يقوم المذكورون للديوان الشريف بأربعة عشر ديناراً في المائة وأن يوزنوا بضاعة بقيمة ذلك أو نقداً من غير السمسرة والتراجمة"^(٤٥).

ويظهر أن الدولة المملوكية كانت تحصل على إدارات كبيرة من الرسوم التي تدفع مقابل القيام بالترجمة أثناء عقد المبيعات والصفقات التجارية^(٤٦).

٤٣. انظر هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى: ٣/٣٠٠، ٣٣٩-٣٤٠.

٤٤. انظر: هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى: ٣/٣٠٣-٣٠٤، ٣٠٦، ٣٥٤ صبحي لبيب:

"الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية" نشر في كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد

وتقديم: رؤوف عباس، ط١، دار الفكر للدراسات، القاهرة- باريس، ١٩٨٦م: ٢٨٤-٣٠٥.

٤٥. J. wansbrough, "A Mamluk Commercial Treaty," P.54.

٤٦. انظر ابن شاهين، زبدة كشف الهالك وبيان الطرق والمسالك: ١٠٨.

وعلاوة على ذلك فإن الترجمة كانت ضرورية لتسهيل التجارة؛ لأن الترجمة عُدوا موثقين وشهوداً على عمليات البيع والتبادل التجاري ، ويظهر ذلك جلياً من خلال نص المعاهدة التجارية المبرمة في سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م بين السلطان المملوكي الملك المعز أيبك وبين جمهورية البندقية: "إذا اشترى أحد البنادقة أو أحد المسلمين شيئاً من الآخر أو إذا باع أحدهما شيئاً للآخر فعليه أن يدفع مقدماً للثنى حتى تكون العملية التجارية ثابتة، وليكن الترجمان شاهداً بين المشتري والبائع ويجب أن يوثق ذلك" (٤٧).

ويظهر من خلال إحدى المعاهدات التجارية الموقعة زمن السلطان قايتباي مع الفرنج، أن سلطة الترجمة على تجار الفرنج كانت قوية، وأنهم كانوا يشددون في إجراءات الترجمة ، أو يشتطون في طلب الأجرة من تجار الفرنج الذين ربما طلبت منهم أجرة الترجمة مرتين: " ذكر أن من شروط البنادقة أنهم إذا أقاموا بالترجمة لمن هو مستقر في الترجمة فلا يطالبون بترجمة ثانية، ولو كانت البيعة مقيمة بالثغر، ولو أخرج التاجر الفرنجي بهار العوض فلا يطالب بترجمة ثانية فرسم لهم بذلك حيث إن التاجر الفرنجي أقام بالترجمة أولاً للترجمان المنفصل من الترجمة، فالجناب العالي يتقدم بإجراء تجار الفرنجيين المذكورين على حكم شروط البنادقة المذكورة في ذلك" (٤٨).

وتُعد مسألة العملة وبخاصة الذهب من البواعث الاقتصادية للترجمة في العصر المملوكي، حيث وثق المماليك علاقاتهم بمملكة التكرور (السودان الغربي) التي كانت واحدة من المصادر الأساسية لجلب التبر (٤٩).

٤٧. M.Latri, "Traite des Paix et de Commerce", PP.77-80.

٤٨. A.Amari, I diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino, PP.203-4.

٤٩. انظر العمري، مسالك الأبصار، مخطوط أحمد الثالث، طويقابو سراي (رقم ٢/٢٧٩٧) ورقة، ٣٤، ٣٥، ٣٦. N.

Levtzion, "Mamluk Egypt and Tadrar (west africa)" in Studies in Islamic History and Civilization in Honour of Professor David Ayalon, (Leiden.1986), PP 183-270.

وعلاوة على ذلك فإن الممالك بحكم علاقاتهم التجارية النشطة، وتردد تجار الفرنج إلى بلادهم قد تعاملوا بالدوكات وهي "دنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك التي تُضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس والحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية، ويُعبّر عنها بالإفرنتية جمع إفرنتي" (٥٠).

وفوق التعامل بالإفرنتي فإن معدن الفضة قد تدفق على الدولة المملوكية من أوروبا ومن آسيا الوسطى (٥١)، بل إن الظاهر برقوق بعث إلى بلاد الفرنجة لجلب النحاس الأحمر لضرب الفلوس (٥٢).

أما البواعث الدينية للترجمة فإنها لا تقل أهمية عن البواعث العسكرية والاقتصادية السالفة الذكر، وقد ظهرت الحاجة إلى الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي نتيجة لما يأتي:

أ- الصراع على السيادة على الأماكن المقدسة بين الممالك والصليبيين من جانب، وبين الممالك والتتار من جانب آخر، فقد شن الصليبيون حروبهم وحملاتهم على المسلمين وعدّوهم كفاراً يسيطرون على مواقع إيمانهم المقدسة (٥٣) قرابة مئتي عام، إلا أنه قد تم تطهير الساحل الشامي منهم تماماً على يد الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، ولكنهم لم يتخلوا عن مشاريعهم الصليبية، وحاولوا إعادة سيطرتهم على الأراضي المقدسة الخاضعة لسيطرة الدولة المملوكية بشن الغارات على السواحل المملوكية، وبمحاصرة الممالك اقتصادياً لإضعافهم عسكرياً.

٥٠. الفلشندي صبح الأعشى: ٣/٣٤٧.

٥١. انظر آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي: ٣٨٠-٣٨١.

٥٢. المقرئزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة: ٧١.

٥٣. انظر: بور، آيلين: نماذج بشرية من العصور الوسطى ٥٢.

ولما أيقن الأوروبيون عجزهم عن قهر المماليك عسكرياً، عمدوا إلى محاورتهم سياسياً، فأرسلوا البعثات الدبلوماسية لتحقيق ما عجزوا عنه حربياً، ووعدوا ببذل الأموال الطائلة للخزينة المملوكية فيما إذا سمحت لهم دولة المماليك بالسيطرة على القدس وبلاد الساحل، فقد ذكر العمري في دستوره المؤلف لديوان الإنشاء خبر السفارة التي أرسلها فيليب السادس ملك الفرنسيين الذي يشار إليه وفقاً لمصطلح ديوان الإنشاء المملوكي باسم: (الريد فرنس) في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م طالباً "بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ويكون للإسلام بهما ولاية مع ولاته، والبلاد مناصفة، ومساجد المسلمين، قائمة، وإدارات قومتها دارة، على أنه يبذل مائتي ألف دينار تعجّل..."^(٥٤) ولكن السلطان المملوكي قابل العرض الفرنسي بالرفض الشديد والتهديد والوعيد لرسل الريد فرنس قائلاً: "... والكم صارت لكم السنة تذكر القدس، والله ما ينال أحد منكم منه ترابة، إلا ما تسفيها الرياح عليه وهو مصلوب ! وصرخ فيهم صرخة زعزعت قواهم، وردهم أقبح رد، ولم يقرأ لهم كتاباً، ولا رد عليهم سوى هذا جواباً"^(٥٥).

أما التتار فإنهم قد تطلعوا إلى السيطرة على مراكز الحج الإسلامي في الحجاز منذ أيام الظاهر بيبرس الذي توجه بنفسه إلى الحجاز عندما بلغته الأخبار في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م بأن التتار "جهزوا ركباً إلى الحجاز، وقصدوا بذلك كشف الطرقات، والتلصص على تلك الجهات، فركبوا الطريق، ومعهم جماعة من المغل لا يعرفون الله، ولا حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة، كم أهلكوا

٥٤. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٨٢، وانظر المقرئزي السلوك : ٣١٩/٢ .

٥٥. المصدر السابق ٨٣-٨٤.

من أمم! وكان قصدهم استباحة دم الحجاج في الحرم، فبلغتهم حركة السلطان، فرجعوا خائبين" (٥٦).

وتردت رسل شاه رخ بن تيمور إلى السلطان المملوكي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي - طالبة أن تكون كسوة الكعبة لشاه رخ إلا أن السلطان المملوكي ردّها ردّاً قبيحاً مبيناً لهم أن كسوة الكعبة لسلطين المماليك وليس لغيرهم (٥٧).

وفوق ذلك فإن سلطين المماليك اشترطوا في منحهم التقليد بالإمرة لأمرأ مكة أن تكون الخطبة والسكة وكسوة الكعبة للسلطان المملوكي (٥٨).

ب- الحج الإسلامي: لقد غدت الدولة المملوكية راعية للحرمين الشريفين وبيت المقدس، وأولى سلطين المماليك الأماكن المقدسة أتم الرعاية والعناية، فأمنوا طرق الحجيج (٥٩)، وأقاموا الخانات في طرقهم (٦٠)، وقاموا بعمارة الأماكن المقدسة وبناء المدارس والسقايات والبرك والمطاهر والقباب فيها (٦١)، بل إن سلطين المماليك فخرُوا بحمايتهم للأماكن المقدسة من جانب كما عبّر حجاج العالم الإسلامي عن تقديرهم لدور سلطين المماليك في حماية الأماكن المقدسة ورعايتها من جانب آخر (٦٢).

٥٦. ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر: ٣٥٦.

٥٧. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٣٦٨/١٤، ٤٨/١٥.

٥٨. انظر الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ١٩١/١، ٤٥٩.

٥٩. انظر ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر: ٨٧.

٦٠. انظر ابن إياس، بدائع الزهور: ١٣٣/٤.

٦١. انظر: الفاسي، العقد الثمين: ١١٧/١-١٢٨.

٦٢. انظر مؤلف مجهول، مائة وثيقة: ورقة: ٤٨، ٦٨.

وقدم الحجيج الإسلامي من بلاد المغول والترك والروم والهند والمغرب والتكرور وغيرها من البلاد الإسلامية، وكان فيهم الكثيرون ممن لا يحسنون العربية، فكان لا بد من وجود الترجمة للملوك أو الأمراء أو الوزراء الذين غالباً ما تقوم الدولة المملوكية باستضافتهم وتأمين ما يليق بهم من سبل الراحة والإكرام، وقد يلتقي بهم السلطان أحياناً، فعندما حج منسا موسى ملك التكرور سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م قدّم للسلطان محمد بن قلاوون هدايا جلييلة، وأرسل المهمندار* لتلقيه، وركب به إلى القلعة في يوم الخدمة، فامتنع أن يقبل الأرض، وقال للترجمان: " أنا مالكي المذهب، ولا أسجد لغير الله"، فأعفاه السلطان من ذلك، وقرّبه وأكرمه وسأله عن سبب مجيئه، فقال: "أردت الحج"، فرسم للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه^(٦٣).

وتشير المصادر إلى حج ملك أولاد قرمان^(٦٤)، وإلى حج شمس الدين رستم ملك كيلان^(٦٥)، وحج أحد وزراء العجم وزار القدس والخليل^(٦٦)، كما حج ملكان من ملوك التكرور في سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م^(٦٧).

ج- الحج المسيحي، فعلى الرغم من ظروف الحروب الصليبية التي شنها الأوروبيون وما تركته من مشاعر العداء فإن تسامح دولة المماليك

• المهمندار: موظف يقوم باستقبال الرسل والملوك الوافدين على الدولة المملوكية. انظر: الخالدي

العمري، المقصد الرفيع المنشأ، ورقة ١٠٣ والسبكي معيد النعيم ومبيد النقم: ٣١.

٦٣. المقرئزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ١١٢، وانظر: ابن كثير، البداية

والنهاية: ١١٢/١٤، العمري، مسالك الأبصار: ٤٣/٤.

٦٤. انظر، القلقشندي صبح الأعشى ٣٩٥/٥.

٦٥. انظر، ابن كثير، البداية والنهاية: ٧١/١٤.

٦٦. انظر، ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٨٠/٧٩.

٦٧. انظر، ابن اياس، بدائع الزهور: ٣٤٣/٤.

ومن قبلها دولة بني أيوب مكنّ الحجاج المسيحيين من القدوم لزيارة الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم ودير سانت كاترين وغيرها من الأماكن التي أضحت زيارتها من الشعائر المسيحية: "من أجل العبادة، واكتساب الفضائل الروحية"^(٦٨).

وقد سهلت الدولة المملوكية مجيء الحجاج المسيحيين الذين استفادت الدولة المملوكية منهم مالياً وتمثل ذلك في ضريبة يؤديها الحجاج عند دخولهم الموانئ الإسلامية المخصصة للحجاج كيافا وصور وعكا وصيدا والإسكندرية وغيرها^(٦٩).

وعلى الرغم من سماح المماليك بالحج لرسول ملوك الإفرنج^(٧٠) فإن بعضاً من النصارى جاؤوا للحج سراً، ولم يكشفوا عن شخصياتهم الحقيقية خوفاً من أن يلقي المماليك القبض عليهم، فقد حج ملك الكرج سراً في سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م، فتابعته الاستخبارات المملوكية منذ خروجه من بلاده، ولما وصل إلى القدس "قبض عليه وعلى ترجمانه وأحضرا إلى الديار المصرية واعتقلا بها"^(٧١).

ونظراً لما للقدس من أهمية، ولكثرة من يؤمها من الحجاج المسيحيين فإن الدولة المملوكية قد عيّنت ترجماناً خاصاً للقدس يقوم باستقبال الحجاج بيافا والقدس، ويقوم بإثبات شخصية كل منهم في

٦٨. رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية: ٦٥/١.

٦٩. H. Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunden de Sinai – Kloster (Wiesbaden, 1960) P236
A.V Harrf., The Pilgrimage Of A.V. Harrf 1496 -1499. Ed by M. Letts
(London, 1946) PP. 92-93.

٧٠. انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: ٢٤٦/٧.

٧١. انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: ٢٥٢/٧.

بطاقة خاصة ثم يرسل نسخة منها إلى كبير الترجمة بالقاهرة لعرضها على السلطان^(٧٢).

ويبدو أن الترجمة كانوا يراقبون الحجاج والرهبان مراقبة دقيقة، وقلما يسمحون لهم بالتنقل خارج القدس دون مرافقتهم ففي مرسوم أصدره السلطان خشقدم في سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م إلى رئيس دير صهيون مكن فيه السلطان الرهبان من: "التوجه إلى بلادهم وضروراتهم، والعود إلى محلهم بترجمان وبغير ترجمان.." ^(٧٣)، ومنع الترجمة من أن: "يتعرضوا إلى الفرنج في ترجمة إلا إن كان بيده من يقصد التعرض إليهم مرسوم شريف بالترجمة"^(٧٤).

د- الخليفة العباسي، قام ببيرس بإحياء الخلافة العباسية بمصر بعد سقوطها في بغداد، وقد تم هذا الإحياء بمصر في سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م^(٧٥)، ومن يومها وحتى سقوط الدولة المملوكية في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي اكتسبت هذه الدولة مكانة دينية وسياسة هامة، فغدت مصر والشام محطاً لسكن العلماء والفضلاء، بل إن من المؤرخين من أرجع عظمة مصر والشام إلى وجود الخلافة العباسية بها^(٧٦).

ويبدو أن سلاطين المماليك قد اتخذوا من وجود الخليفة العباسي بمصر وما حظي به من مكانة دينية في نفوس المسلمين وسيلة

٧٢. أحمد دراج، المماليك والفرنج: ٣٨. وانظر: علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي: ٤٥.

وانظر: Frescobaldi, Gucci and Sigoli, Visit To The Holy Places, (Jerusalem 1948) PP 65 –67

N. Risani Documenti E. Firmani (Gerusalemne, 1931) P. 298.٧٣

. Ibid P.306.٧٤

٧٥. انظر أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام : ١٧٩-١٩٩.

٧٦. انظر السيوطي، حسن المحاضرة: ٨٦، ٩٤.

دعائية وإعلامية ترسيخاً لدعائم دولتهم، وإعلاء شأنها بين الدول الكبرى في ذلك العصر، فقد أرسل بيبرس إلى أحد حكام المغول وهو الملك بركة (حكم بين ٦٥٥ - ٦٦٥ هـ/١٢٥٧-١٢٦٧ م) - خان القبيلة الذهبية التي حكمت في جنوب روسيا وغربي القَبْجَاق مجموعة من رسله : "وكتب على أيديهم الكتب بأحوال الإسلام، ومبايعة الخليفة - عليه السلام- فكتبت وأذهبت (كذا ولعلها: دُهِبَتْ)، وسيرها إلى الملك بركة، وسير ثبوت نسبه مسجولاً على قاضي القضاة تاج الدين" (٧٧).

وتشير مصادر العصر المملوكي إلى ورود كثير من الرسل من الهند والتكرور وبلاد المغول والعثمانيين وغيرهم من الدول الإسلامية يطلبون من السلطان المملوكي تقليداً بالحكم يكون صادراً عن الخليفة العباسي (٧٨).

هـ - مراكز البطارقة، أرسل الامبراطور البيزنطي في سنة ٦٦٠ هـ/١٢٦٢ م يطلب من الظاهر بيبرس بطركاً ملكانياً ليشرف على طائفة الملكانيين في دولته (٧٩)، وكانت رسل ملوك الحبشة تأتي طالبة من السلطان المملوكي أن يأمر بطرك اليعاقبة بالإسكندرية بتعيين مطران لهم من اليعاقبة الأقباط، وقد وضح ذلك العمري بقوله: "ولولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعمد

٧٧. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر: ١٣٨.

٧٨. انظر، ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور: ٤٦، السيوطي، حسن المحاضرة: ٨٥/٢، المقرئ، السلوك: ج ٢ ق ٣ ص ٦٣٩، ابن قاضي شهاب: تاريخ ابن قاضي شهاب: ٣٤٦/٢، ابن اياس، بدائع الزهور: ٢٨٧/٤.

٧٩. انظر: احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام: ٢٠٢.

معمودي إلا باتصال من البطريك، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده، وإلا كان شمع بأنفه عن المكاتبه، لكنه مضطر إلى ذلك" (٨٠).

ويبدو أن السلطان المملوكي قد وظّف حاجة ملوك الأحباش إلى مطران من بطريك الإسكندرية في خدمة سياسة دولته الخارجية، واتخذ منها عامل ضغط على ملوك الحبشة، ولذلك نجده يتشدد مع بطرك الإسكندرية: "فأمر بكتابة إشهد عليه أنه لا يكتب إلى ملك الحبشة بنفسه ولا بوكيله لا ظاهراً ولا باطناً ولا يولي أحداً في بلاد الحبشة لا قسيساً ولا أعلى منه ولا دونه إلا بإذن من السلطان ووقوفه على كتابته، وأنه متى خالف ذلك انتقض عهده وضربت عنقه" (٨١).

و- الجاليات والطوائف الدينية الإسلامية والمسيحية، لقد وجدت جاليات إسلامية في صقلية وبرشلونة والحبشة والقسطنطينية وغيرها من البلاد الواقعة تحت سيطرة ملوك النصارى، وكانت مثل هذه الجاليات تتطلع إلى دولة المماليك حماية لها ورفعاً لما يوقعه الصليبيون بها من فتك وبطش وضيم، فقد أرسل الظاهر بيبرس إلى ملك صقلية يطلب منه عدم الاستمرار في قتل المسلمين المقيمين ببلاده وإلا فإنه سينتقم من أسرى الفرنج، ومن طوائف النصارى المقيمين ببلاده (٨٢)، وقد استجبت الجالية الإسلامية في بلاد الحبشة بالسلطان المملوكي (٨٣) أما

٨٠. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٣٩. وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى : ٣٠٨/٥، ٣٢٢.

المقريزي، درر العقود: ٢/٢١٥.

٨١. السخاوي، التبر المسبوك: ٢١٠ (سنة ٨٥٢هـ).

٨٢. انظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٣٠٨.

٨٣. العمري، مسالك الأبصار: ١٧-١٨/٤.

الجالية الإسلامية في أشبونة (لشبونة) فقد أرسلت للسلطان المملوكي سيف الدين إينال (حكم من ٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٣-١٤٦١م) بشأن كنيسة القيامة، وأن النصارى قد ضيقوا عليهم، ولذلك يطلبون رفع الأذى عن النصارى ببلاد السلطان المملوكي^(٨٤).

ووصل إلى القاهرة في نهاية القرن التاسع الهجري/ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي - وقبيل سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس _ رسولان يطلبان النصرة من السلطان المملوكي، وقد ذكر خبرهما المؤرخ عبدالباسط الغرسي بقوله: " وصل إلى القاهرة اثنان من المغاربة من أهل الأندلس كانا قد توجهتا إلى بلاد الروم بمكاتبة صاحب الأندلس وعلمائها وأكابرها وأعيانها بالمبايعة لابن عثمان، وأنه ينجدهم، وإلا استولى الفرنج على بلادهم بأسرها، وذكر أنهما توجهتا لبلاد ابن عثمان من جهة بلاد الفرنج في خفية وهما بزى الفرنج حتى خلاصا إليه، وأوصلا إليه بالبيعة، وأنه وعدهما بجميل ، وأنه يبعث إليهم بالاصطول والمقاتلة"^(٨٥).

ويظهر أن سلاطين المماليك كانوا يستجيبون في أغلب الأحيان لرسائل الجاليات الإسلامية، ويتدخلون دبلوماسياً لنصرتهم ورفع المظالم عنهم، وكانوا يتخذون من وجود طوائف النصارى ومراكزهم الدينية أداة سياسية يلوحون بها في وجه ملوك النصارى لإنصاف المسلمين والحفاظ على أرواحهم وأموالهم، ففي رسالة بعثها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٦م إلى الملك حاكم الريدراغون ملك بلنسية وسردانية تجد ما نصه: "وعلم الملك محيط بأن جميع النصارى في سائر ممالكنا وبلادنا من جملة رعايانا،

٨٤. انظر مؤلف مجهول: مائة وثيقة: ورقة ٥٩ و.

٨٥. عبدالباسط، نيل الأمل في ذيل الدول: ج ٢ ورقة ٣٨٠ ظ.

وممن يتعين علينا حفظهم والشفقة عليهم، ولو تعرض أحد إليهم بأذية قبلناه (كذا ولعلها: قابلناه) أشد مقابلة ورسمنا بأن يعتمد فيه الواجب، وإنما نحن الآن نؤكد على حضرة الملك في الوصية بمن في بلاده من المسلمين، كما نحن عليه أيضاً من الوصية بالنصارى؛ لأنهم رعايانا وأهل بلادنا. وقد جددنا المراسم الشريفة الآن بتجديد الوصية بجميع النصارى الذين في ممالكنا إكراماً لسؤال الملك في أمرهم...^(٨٦).

وفي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م أرسل ملك الحبشة رسالة إلى السلطان الظاهر جقمق يوصيه خيراً بالنصارى في بلاده، ويطلب لهم السماح بعمارة ما درس من كنائسهم، أسوة بالإفرنج وملك الكرج الذين رسم لهم بعمارة في القدس الشريف، وأخبر السلطان بأنه رقيق بالمسلمين المقيمين في أرضه^(٨٧).

وتدل إحدى الوثائق الصادرة عن ديوان الإنشاء المملوكي في عهد السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م أنه قد استجاب لطلب رئيس دير صهيون بالقدس لعمارة مهد عيسى عليه السلام وسمح بمجيء الصناع، وجلب مواد البناء والعمران من البحر – أي من الغرب وإن لم يحدد مصدرها – دون دفع أي رسوم للميناء: "... والصدقات شملت بمراسيم شريفة وكريمة بتمكينه من عمارة مهد

^{٨٦}. Maximiliano A. Alarcon Y. Santon Y. Ramon Garcia De Linares, Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De LA Corona De Ragon, (Madride, 1940), P.356.

^{٨٧}. انظر: العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ٦٠٤-٦١١ (حوادث: ٨٢٤-٨٥٠، تحقيق: عبدالرزاق القرموط، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٩)، السخاوي، وجيز الكلام: ٥٨٩/٢.

عيسى عليه السلام من الأخشاب والرصاص وغير ذلك، وإحضار الأخشاب والصناع من البحر، والآن فقد حضر المركب بالأخشاب والصناع، ومرسومنا أن يتقدم كل واقف عليه بمنع من يتعرض إليهم في ذلك، أو يقف لهم في طريق، والوصية بالصناع النجارين والخشابين وغيرهم، ولا يطلب منهم موجب (رسوم) بمينا يافا ولا بباب قمامة بالقدس الشريف....^(٨٨).

وبناءً على ما تقدم من نصوص وثائقية يتبين لنا دور الجاليات والطوائف الدينية الإسلامية والمسيحية في حركة الاتصال الدبلوماسي بين المماليك وغيرهم، وما يقوم عليه ذلك من حاجة إلى الترجمة التي تنظم هذا الاتصال بين الطرفين، وإلى الترجمة الذين يشرفون على تنفيذه في كثير من الأحيان.

.N. Risani, Documenti E.Firmani, PP.82-84. ٨٨

المبحث الثاني

اللغات والمترجمات

تدل المصادر المختلفة التي تمكّننا من الوقوف عليها في أثناء البحث في حركة الترجمة والتعريب أن ديوان الإنشاء المملوكي قد اضطر نتيجة لعلاقات الدولة المملوكية ونشاطاتها المختلفة من دبلوماسية وعسكرية وعلمية ودينية واقتصادية إلى الترجمة من وإلى عدد من لغات الشعوب والطوائف والدول القائمة في ذلك العصر، وكان ديوان الإنشاء يضع الألقاب والأدعية وأساليب المخاطبة اللازمة لذلك، ويحدد نوع الورق الذي يكتب فيه لكل كيان سياسي بما يتناسب وعقيدته وقوته العسكرية والسياسية ومركزه الاقتصادي، ومكانته بالنسبة للدول المملوكية^(٨٩).

أما أهم اللغات التي تمت الترجمة منها أو إليها في ديوان الإنشاء المملوكي فإنها:

- **المغولية:** يبدو أن اللغة المغولية كانت مع بداية التوسع المغولي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لغة شفاهية غير مكتوبة^(٩٠)، ثم أمر جنكز خان (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧) أبناء المغول بتعلم الخط الأويغوري، حيث وصف لنا عطا ملك الجويني ذلك بقوله: "ووفقاً لرأي جنكز خان

٨٩. انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٣٦-٨٤، الحلبي، التبيان في اصطلاح أهل الزمان : ورقة ٦، ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ورقة ٦-١٣، القلقشندي، قلاند الجمان في مصلح مكاتبه أهل الزمان: ورقة ٣٦ و٣٩ ظ .

٩٠. انظر: بوزورث، الأسر الحاكمة في الإسلام: ٢٠٠ .

ومقتضى مراده فقد وضع لكل أمر قانوناً، ولكل مصلحة دستوراً، واستن لكل ذنب حداً وعقاباً، ونظراً لأن أقوام التتار لم يكن لهم خط فقد أمر أن يقوم الأويغور بتعليم أطفال المغول الكتابة"^(٩١).

وقد أمدنا أحد التراجمة الذين عاشوا في بلاطات المغول والعثمانيين ثم المماليك أخيراً وهو ابن عريشاه (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) بمعلومات جيدة عن هذا الخط، يقول : "وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى أويغور، وهو بالقلم المغولي مشهور، وعدته أربعة عشر حرفاً.... وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد، أن حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة، وكذلك تلفظهم بها، ومثل هذه الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء، ومثل الزاي والسين والصاد، ومثل التاء والذال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم، ومناشيرهم ومكاتيبهم، ودفاترهم ومخاتيمهم، وتواريخهم وأشعارهم وقصصهم وأخبارهم، وسجلاتهم وأسفارهم، وجميع ما يتعلق بالأمور الديوانية، والتوراة الجنكيزخانية، والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم؛ لأنه مفتاح الرزق عندهم"^(٩٢).

ويبدو أن الانتصارات السريعة والساحقة التي حققها المغول أدت إلى انتشار هذا الخط وذيوعه، وبلغ من تعصب المغول للغتهم وخطهم أنهم كانوا يعدون

٩١. السباعي محمد السباعي، عطا ملك الجويني وكتابة جهان كشا: ٢٣٠، وانظر، بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٥٣.

٩٢. ابن عريشاه، عجائب المقدور في نواب تيمور: ٤٧٧-٤٧٩. وحول الإيغور وهم قبائل تركية، انظر: إبرار كريم الله، من هم التتار؟: ١٢١-١٢٢، بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٥٤-٥٥٥

وانظر : S.G. Clauson, Turkish and Mongolian Studies. (London 1962). PP 174 -187

تعلمة قمة الفضل والمعرفة^(٩٣)، إلا أن خط المغول ولغتهم لم تصبح لغة الشعوب التي قهروها وسيطروا عليها^(٩٤).

أما اهتمام ديوان الإنشاء المملوكي والدولة المملوكية باللغة المغولية فقد كان كبيراً، ولا غرو في ذلك فإن المغول هم العدو الأكبر والأخطر لدولة المماليك، ويبدو أن الحاجة إلى مكاتبة المغول والإطلاع على أحوالهم المختلفة، والكشف عن بواطن سياساتهم، وما يكون من تحركاتهم هو الذي عمّق معرفة المماليك باللغة المغولية واهتمامهم بها، فالعمرى رئيس ديوان الإنشاء المملوكي يميز - في موسوعته الكبرى التي صنفها للكتاب في ديوان الإنشاء - ألفاظ اللغة المغولية من التركية، يقول : "كوك طاق ومعناه في اللغة المغولية القصر الأخضر؛ لأن القصر عندهم طاق، والأخضر كوك، وهي خلاف التركية"^(٩٥).

ويبدو من خلال نص أورده القلقشندي أن خانات القبيلة الذهبية من المغول الذين حكموا في روسيا الجنوبية وغربي سيبيريا ابتداء من عهد بركة وحتى عهد غياث الدين محمد أوزبك (٦٥٥-٧٤٢هـ / ١٢٥٧-١٣٤١م) كانوا يكتبون اللغة المغولية بالخط العربي^(٩٦).

ومهما يكن من أمر الخط الذي كتب به المغول فإن الرسائل كانت أهم ما ترجم في العصر المملوكي من اللغة المغولية إلى العربية، فقد أشار محيي الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء المملوكي إلى ورود كتاب من تتامكو ملك مغول القفجاق في سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م إلى المنصور قلاوون: "وصلت رسل قفجاق فقهاء، أحدهم الفقيه مجد الدين أطا ورفقته: نورالدين ورفيق آخر، وأحضروا من

٩٣. السباعي، عطا ملك الجويني، ٢١٥.

٩٤. أبرار كريم الله، من هم التتار؟: ٦١.

٩٥. العمرى، مسالك الأبصار ٥٧/٣ .

٩٦. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١٦٧/١.

أيديهم كتاباً بالمُغلي^(٩٧)، وقد اكتفى ابن عبدالظاهر بتلخيص مضمون رسالة تنامكو ولم يذكر لنا الترجمة الكاملة للنص، ولا اسم المترجمان الذي قام بتعريبه، ويبدو أن كثيراً من رسائل المغول إلى ديوان الإنشاء المملوكي كانت تترجم ترجمة مضمونية لم يحرص فيها المترجمة على النقل الدقيق^(٩٨).

وقد أوضح العمري في دستوره لديوان الإنشاء المملوكي أن مراسلة مملكة بيت بركة المغولي كانت: "إن كتب بالعربي رَسَم ما يكتب إلى صاحب إيران كما تقدم، وإلا فالأغلب أن يكتب إليه بالمغلي، وذلك مما كان يتولاه أيتمش المحمدي، وطاير بُغا الناصري وأرغداق الترجمان، ثم صار يتولاه قوصون الساقى الناصري"^(٩٩).

وتشير مصادر العصر المملوكي إلى وجود نص إلیاسة أو الیسق المغولي بين أيدي أمراء المماليك، وإلیاسة لفظة مغولية تعني القانون أو الشريعة التي وضعها جنكز خان لتنظيم العلاقات بين المغول، ومع أن المماليك قد خضعوا لأحكام الشريعة الإسلامية في الأمور الدينية، إلا أنهم كما يذكر المقرئزي: "احتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكز خان والافتداء بحكم الیاسة، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم، والأخذ على يد قويمهم، وإنصاف الضعيف منه على مقتضى ما في الیاسة، وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما

٩٧. عبدالظاهر، تشریف الأيام والعصور: ٤٦.

٩٨. انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد: ٤٥٢-٤٥٣، ٥٥٠.

نشره Biochet في (Patrologia Orientalis, Paris, 1919).

٩٩. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ٦٢-٦٣.

استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب، وكانت من أجلّ القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الأموال وخراج الأراضي...." (١٠٠).

فنص المقرئ السابق يكشف لنا عن وجود إلیاسة بأيدي الممالیک من جانب ويشیر إلى تأثر الممالیک بالنظم الإدارية والإقطاعية المغولية من جانب آخر ولا سيما أن بعض المؤرخين قد أشار إلى تأثر الممالیک بطريقة جنکز خان في الحكم والإدارة (١٠١).

ولما كانت إلیاسة مكتوبة في أصلها باللسان المغولي وبالأبجدية الأويغورية (١٠٢)، وكان بين الممالیک من يجيدون اللسان والخط المغولي، فإنه يمكن القول: إنهم كانوا يقومون بترجمة نصوص هذا القانون المغولي (إلیاسة) إلى التركية أو العربية عند الحاجة إلى ذلك.

- **الفارسية أو الفهلوية:** تُعدّ الفارسية من أكثر اللغات وأقدمها علاقة باللغة العربية وذلك بحكم مجاورة العرب للفرس، ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره في أرض فارس بدأت الفارسية بالتراجع أمام العربية، وفقدت مركزها الكتابي في إدارة الخراج ومالية الدولة سنة ٧٨هـ / ٦٩٧م في البصرة والكوفة، وفي خراسان سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م (١٠٣)، ولم تعد الفارسية لغة رسمية منذ ذلك الحين إلى أن تم إحيائها لغة أدبية على يد السامانيين الذين حكموا في خراسان وما وراء النهر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وطوال القرن الرابع الهجري، وذلك عندما ضعفت الدولة العباسية (١٠٤).

١٠٠. المقرئ الموعظ والاعتبار: ٢/٢٢١.

١٠١. انظر السيوطي، حسن المحاضرة: ٢/١٣٣.

١٠٢. بارتولد، تركستان: ١١٣-١١٤، ٥٥٩.

١٠٣. انظر: الجهشيار، الوزراء والكتاب: ٣٨، ٦٧.

١٠٤. السباعي، عطا ملك الجويني وكتابه جهان كش: ٤٧-٤٨.

وبدأت حركة ترجمة المؤلفات العربية إلى الفارسية في عهد السامانيين، فترجم البلعمي تاريخ الطبري وتفسيره إلى الفارسية^(١٠٥)، وشجع نوح بن منصور الساماني الشاعر الدقيقي في القرن الرابع الهجري على نظم الشاهنامه وهي الملحمة الفارسية القومية، ثم أتمها الفردوسي (ت ١٠٢٥هـ/١٠٢٥) وقدمها للسلطان محمود الغزنوي^(١٠٦).

وزاد الاهتمام بالفارسية بظهور السلاجقة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد كتب السلاجقة في فارس وثائقهم ومراسلاتهم باللغة الفارسية مما عزز مكانتها وانتشارها^(١٠٧)، ولذلك فإن اللغة الفارسية قد رسخت في مشرق العالم الإسلامي قبل مجيء المغول بثلاثة قرون في الأقل، واقتلعت العربية من مواقع كثيرة؛ ومن هنا فإن حضور الفارسية في الأراضي التي اجتاحتها المغول كان أكبر من حضور العربية^(١٠٨)، بل إن المغول بفارس والعراق كانوا يكتبون بالمغولية والفارسية، وقد وصف لنا القلقشندي ذلك في القرن التاسع الهجري قائلاً: "ثم انقرضت الخلافة في بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة ست وخمسين وستمائة، واستولت المغل والأعاجم على بغداد، بطل رسم الكتابة المعتمدة، وصار أكثر ما يكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية؛ والأمر على ذلك إلى زماننا"^(١٠٩).

أما المترجمات من الفارسية إلى العربية فإنها:

١٠٥. انظر براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي: ١٣٢.

١٠٦. انظر: الفردوسي، الشاهنامه ٣٧/١، ٥٤، ٦٧.

١٠٧. السباعي، عطا ملك الجويني وكتاب جهان كشا: ٥٠.

١٠٨. انظر كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية: ٢٥٧ وانظر

E.G Browne Aliteray History of Persia, (Cambridge, 1964) Vol.III P.62.

١٠٩. القلقشندي صبح الأعشى ٩٤/١.

أ- الرسائل المتبادلة بين المغول والمماليك ولا سيما أن بعضاً منها كان يرد بالفارسية أحياناً، ويبدو أن هذا النمط من الرسائل المكتوبة عن المغول بالفارسية كان منذ أيام المغول الإلخانيين حكام فارس والعراق وحتى عهد التيموريين في القرن التاسع الهجري، وقد حفظ شرف الدين علي يزدي في كتابه "ظفرنامه" بعضاً من هذه المراسلات المكتوبة بالفارسية التي أرسلها تيمورلنك في نهاية القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري إلى سلاطين المماليك^(١١٠).

ب- الشاهنامه وهي ملحمة الفرس الخالدة التي نظمها الفردوسي بالفارسية وقدمها للسلطان محمود الغزنوي في مطلع القرن الخامس الهجري، وقد قام قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني بترجمتها إلى العربية بدمشق سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م، وقدمها للسلطان الملك المعظم (ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦) إلا أن هذه الترجمة العظيمة القدر قد بقيت ناقصة، ذلك أن البنداري قد حذف بعضاً من فصولها ومداخلها ورسائلها^(١١١)، ويبدو أن نقص هذه الترجمة هو الذي جعل نائب الشام الأمير تنكز يطلب من أحد التراجمة منادمتة بهذه الملحمة الخالدة من ناحية، كما أن السلطان الغوري أمر بترجمة الشاهنامه من الفارسية إلى التركية من ناحية أخرى^(١١٢).

ج- مرزيان نامه، وهو كتاب ألفه مرزيان بن رستم بن شروين - أمير طبرستان - في أواخر القرن الرابع الهجري، ويذكر بروكلمان: أن أصل هذا الكتاب كان "باللهجة الإيرانية المحلية لطبرستان، ثم نقله سعد الدين الورويني في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر

١١٠. انظر: حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية: ١٦٥-١٧٥.

١١١. انظر: الفردوسي، الشاهنامه: ٩٨-٩٩.

١١٢. انظر: الغوري، مجالس السلطان الغوري: ٤٥-٤٧.

الميلادي إلى الفارسية الحديثة، ثم ترجمه ابن عريشاه إلى اللغة العربية^(١١٣).

د- إلياسا أو إلياسة التي نقلها إلى الفارسية عطا ملك الجويني (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وهو حاكم بغداد زمن هولاكو، وذلك في كتابه "جهان كشا" وعطا ملك الجويني أحد المصادر الرئيسية للعمري رئيس ديوان الإنشاء المملوكي في موسوعته "مسالك الأبصار" التي يظهر من خلال تتبع نصوص إلياسة الواردة فيها أن العمري كان يعتمد على نص مترجم منها في ديوان الإنشاء المملوكي على كتاب عطا ملك "جهان كشا"^(١١٤).

هـ- المؤلفات التاريخية والسياسية وغيرها، لقد حرص المماليك على معرفة تواريخ المغول وأنسابهم ودولهم وأنظمتهم الإدارية العسكرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لذلك فإن أحد الأمراء المماليك المترجمة وهو سيف الدين أوتامش الأشرفي وصف بأنه: "يعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم ويستحضر تواريخهم ووقائعهم"^(١١٥)، ويبدو أن كُتاب ديوان الإنشاء المملوكي كانوا يشجعون على ترجمة كل ما يتعلق بالمغول وأخبارهم إلى العربية، ولذلك وجدنا أحد كبار كتاب المغول وهو رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) - الذي خدم في بلاط المغول قرابة خمسين عاماً، وكان

١١٣. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، القسم السادس : (١٠-١١) ص ١٠٧.

١١٤. انظر العمري، مسالك الأبصار: ٣/٤٠-٤٧، وقارن بما ترجمه السباعي محمد السباعي، عطا

ملك الجويني وكتابه جهان كشا: ٢٢٨-٢٣٧.

١١٥. الصفدي، أعيان العصر ٢٠٩/١.

محيطاً بالفارسية والعربية والمغولية والعبرية - يأمر بترجمة مصنفاته من الفارسية إلى العربية^(١١٦).

- التركية: يلاحظ القارئ لمصادر العصر المملوكي أن بعضاً من مؤلفيها يطلقون على الفترة المملوكية اسم الدولة التركية وذلك لغلبة العنصر التركي - الذي يعود كثير منه إلى منطقة القبجاق^(١١٧) الواقعة جنوب روسيا - عليها كما مرّ بنا، إلا أن العلاقة بين العرب والأتراك، وحضور الجنس التركي في البلاد العربية بدأ منذ مطلع القرن الثالث الهجري عندما أكثر الخليفة العباسي المعتصم من استجلاب الجنس التركي.

ومع مضي العصر العباسي ازداد النفوذ التركي، وظهر السلاجقة في فارس والعراق والشام على مسرح الأحداث في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتمكنوا من هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م في بلاد الأناضول^(١١٨) مما كان له أكبر الأثر في اللغة التركية، حيث ألف محمود بن الحسين الكاشغري معجمه الموسوم بـ "ديوان لغات الترك" وقدمه للخليفة العباسي المقتدي بأمر الله الذي حكم من سنة ٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٤-١٠٩٤م.

وديان لغات الترك من المعاجم المشتركة (تركي/عربي)، ويستدل مما ذكره الكاشغري في مقدمته على تقديم الأتراك وتقريبهم لمن يتكلم بلسانهم: "ولا ذريعة لديهم أحسن من التّراطن بلسانهم، لإصغائهم إليه أسماعهم، واستمالة جنانهم... وضعت كتابي هذا مستعيناً بالله تعالى، موسماً بديوان لغات الترك ليكون ذكراً مخلداً ودُخراً مؤيداً، برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشمية العباسية

١١٦. انظر، الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ المغول): م ٢، ج ١، ص ١٧١ - ١٧٢، بارتولد، تركستان: ١٢٠.

١١٧. المقرئ، المواعظ والاعتبار: ٢٣٦/٢-٢٤١.

١١٨. بوزورث، الأسر الحاكمة في الإسلام: ١٦٧-١٦٩.

سيدنا ومولانا أبي القاسم عبدالله بن محمد المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين...
" (١١٩)

ويظهر أن اللغة التركية قد حققت كسباً كبيراً بتدوين أول معجم فيها مما عمّق جذورها في نفوس متكلميها والكاتبين بها، ولذلك فإننا نجد نشاطاً في حركة تأليف المعاجم المشتركة بين العربية والتركية حتى من كبار النحويين عند العرب أمثال أبي حيان الأندلسي في العصر المملوكي الذي جاء في مقدمة معجمه الموسوم بـ "الإدراك للسان الأتراك" : "والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة عالية من لسان الترك لغة وتصريفاً ونحواً، وقد ضبطت هذا اللسان حرفاً حرفاً، ورتّبت الكلام في اللغة على حروف المعجم باللسان التركي فأذكر اللفظة التركية وأتبعها بمرادفها من اللغة العربية...." (١٢٠).

ولا يتسع هذا البحث إلى استقصاء المعاجم المشتركة بين العربية والتركية، وإنما أريد التنبيه على معجم القونوي الذي جاء في مقدمته ما نصه: "اعلم وفقك الله أن اللسان التركي القفجاقى الخالص عارٍ من ثمانية حروف وهي: الثاء والحاء والخاء والضاد والطاء والعين والفاء والهاء، فإن سمعت كلمة تتضمن بعض هذه الحروف فاعلم أنها ليست من اللغة التركية الخالصة، وأنها كلمة مستعارة من غيرها، وقد عيّنت ما وقع الخلف فيه بين اللغة التركية الخالصة وبين اللغة التركمانية..." (١٢١).

وورد في مقدمة معجم جمال الدين أبي محمد عبدالله التركي - المسمى بـ "لغة المشتاق في لغة الترك والقفجاق" - ما نصه: "أما بعدُ فهذا ترجمان اللغة التركية اخترته من الأنوار المضيئة؛ تأليف علاء الدين بيليك القفجاقى، والصحيح

١١٩. الكاشغري، ديوان لغات الترك: ١/٢-٤

١٢٠. أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك ٥-٦.

١٢١. M.The Houtsma, EinTurkisch-Arabishes Glossar, (Leiden,1849)P.2

من الدُّرَّة المضيئة تأليف عماد الدين داود بن علي بن محمد الوراق المصري، وزدتُ على ما عندهما أشياء كثيرة...^(١٢٢).

ويبدو أن لغة القفجاق قد احتلت مكانة هامة بين أسرة اللغات التركية؛ لأن معظم سلاطين المماليك في الدولة التركية البحرية هم من القفجاق أو القبقاق^(١٢٣)، كما أن هذه اللغة أصبحت لغة رسمية لدولة خانات القبيلة الذهبية من المغول^(١٢٤).

ويتضح من خلال إشارات مصادر العصر المملوكي إلى السفارات المتبادلة بين المماليك والدول والإمارات ذات اللغة التركية أن عدداً وافراً من الرسائل المكتوبة بالتركية قد وردت على ديوان الإنشاء المملوكي أو صدرت عنه، ففي حديث ابن عبد الظاهر عن رسل مملكة بركة خان العائدين في سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م إلى بلادهم بعد أن أدوا رسالة إلى السلطان المملوكي الظاهر ببيرس إشارة إلى أن السلطان المملوكي قد ردّ على رسالتهم، وحملَ رسله إلى بلاط بركة خان رسالة باللغة التركية: "... وقرأ كتاب السلطان بالتركي على من عنده وفرحوا به، وأعاد الرسل بجوابه، وسير معهم رسله"^(١٢٥).

١٢٢. A.Zajackowski, Bulgat Al Mustaq Fi Lugat AL-Turk Wa-L Qifzaq (warszwa,1958) PP1-2.

وانظر – A.Zajackowski, "Note Complementari Sulla Lessicografia arabo – turca nell epoca dello Stato Mamelucco, PP 149-160.

١٢٣. انظر: شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر: ٢٦٤.

١٢٤. انظر بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى: ١٧٠؛ وانظر كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية: ٢٥٦-٢٥٨.

١٢٥. ابن عبد الظاهر: الروض الزهر: ٢١٧، وانظره: ١٥٤-١٥٧؛ وانظر حول الرسائل المتبادلة مع الأتراك ورسوم مكاتباتهم من ديوان الإنشاء المملوكي: العمري، مسالك الأبصار: ٣٩/٢ وما بعدها؛ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٤٩-٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ١٤/٨-٢٠.

ويظهر من خلال الوثائق التي جمعها فريدون بيك ودونها في كتابه الضخم "مجموعة منشآت السلاطين" أن عدداً كبيراً من الرسائل المتبادلة بين المماليك والعثمانيين كان مكتوباً باللغة العربية^(١٢٦).

وتجد الإشارة إلى أن بعضاً من المؤلفات التاريخية والفقهية والأدبية قد نقلت بأمر من سلاطين المماليك من اللغة العربية إلى اللغة التركية^(١٢٧).

-العبرية: بين القلقشندي في حديثه عن الألقاب المصطلح عليها عند صدور المكاتبات من ديوان الإنشاء المملوكي إلى غير المسلمين بقوله: "واعلم أن ملوك الكفر المكاتبين عن هذه المملكة جميعهم نصارى: من الروم، والفرنج، والكرج والحبشة وغيرهم؛ إذ كانوا هم المستوليين على أكثر الممالك؛ أما اليهود، فإنهم لم يبق لهم مملكة معروفة، بل هم تحت الذمة أين كانوا"^(١٢٨).

وقد تسامحت الدولة المملوكية مع رعاياها من اليهود، وسمحت لهم بالتنقل والسفر والمتاجرة وإقامة مركز علمي بالقدس لقراءة كتابهم وتفسيره^(١٢٩).

ولما كان ديوان الإنشاء المملوكي هو المؤسسة الإدارية المسؤولة عن تنظيم علاقات الدولة مع رعاياها من مختلف الطوائف والملل فإن ديوان الإنشاء أصدر وصاياهم لرئيس طائفة اليهود، ورئيس السامرة تبياناً لصلاحيات رؤساء هذه الطوائف ومهامهم ومسئولياتهم^(١٣٠).

١٢٦. انظر فريدون بيك، مجموعة منشآت السلاطين ١/١١٦، ١٢٠، ١٤٥-١٤٦، ١٦٤-١٦٥؛ ١٩٥.

١٢٧. انظر: السخاوي، الضوء اللامع: ١٠/١٣١-١٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/١١٠؛ الغوري، مجالس السلطان الغوري: ١/٤٥-٥٧.

١٢٨. القلقشندي، صبح الأعشى: ٨/٢٥، وانظره: ٦/٧٨.

١٢٩. انظر: علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي: ١٦٧-١٦٨.

١٣٠. انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٢٠٢-٢٠٤.

وعلاوة على ذلك يظهر أن ديوان الإنشاء كان بحاجة إلى معرفة دقيقة فيما يتعلق بتواريخ اليهود وعقائدهم وأنبيائهم، ولذلك أمر رئيس ديوان الإنشاء، والمقنن لمصطلحه وهو ابن فضل الله العمري بإحضار أحد علماء العبرية العارفين بها وطلب منه ترجمة سفري القضاة والملوك^(١٣١).

-اليونانية أو الرومية: وكانت الكتب الواردة على ديوان الإنشاء المملوكي باليونانية مرسلّة من ملوك الروم وأكبرهم صاحب القسطنطينية الذي كان يعبر عنه أحياناً باسم الأشكري أو اليشكري وهو تحريف للاسم لسكريس^(١٣٢).

ويظهر أن العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والبيزنطيين كانت متينة، وترددت الرسل بين الطرفين منذ أيام الظاهر بيبرس وحتى سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في منتصف القرن التاسع الهجري تقريباً^(١٣٣).

أما أهم ما عزّب عن اللغة اليونانية إلى العربية فهو المعاهدات وما يتعلق بها من أيمان يحلف عليها المتعاهدان، فقد وردت نسخة يمين من ملك القسطنطينية في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م وتم تعريبها في الديوان^(١٣٤).

ومن المعربات عن اليونانية إلى العربية الرسائل التي تضمنت معنى توكيد الصداقة بين البيزنطيين، وما يدخل في إطارها من تأمين للتجارة، ورعاية للأماكن المقدسة، وتبادل الهدايا، وقد حفظ لنا القلقشندي واحدة من هذه الرسائل المعربة

١٣١. انظر: العمري، مسالك الأبصار: ٢/٢٥

١٣٢. انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى : ٢٥/٨ ، ١٢١ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر : ٨٨ العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف : ٦٨-٦٩ .

١٣٣. انظر أحمد مختار العبادي: قيام الدولة المملوكية الأولى في مصر والشام: ٢٠٢ ؛ ابن قاضي

شبهة، تاريخ ابن قاضي شهبة: ٤٨٣/٣ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢٨٧/١٤ .

١٣٤. انظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: ٢٢٩/٧-٢٣٣ .

التي قام بترجمتها من اللغة اليونانية إلى العربية بطرك الملكانية بحضور سيف الدين الترجمان في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م (١٣٥).

-اللغة الفرنجية: اصطلح مؤرخو ديوان الإنشاء المملوكي على وصف المكاتبات الواردة من فرنج الساحل الشامي والجنوبيين والبنادقة والقشتاليين والبيازنة والفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين بأنها مكتوبة، "باللسان الفرنجي وقلمه" (١٣٦)، وتكون مثل هذه الكتب مختومة، فإذا ورد كتاب منها إلى السلطان المملوكي "فك ختمه"، وترجم بترجمة الترجمان بالأبواب السلطانية، وكتب تعريبه في ورقة مفردة، وألصقت به (١٣٧).

والمعروف أن اللغة السائدة بين الصليبيين في الساحل الشامي بوجه عام هي الفرنسية، ولكن مع ذلك استخدمت كل أقلية صليبية لغتها الخاصة بها (١٣٨)، وأن اللغة السائدة في الجمهوريات الإيطالية، وفي إسبانيا القشتالية، وفي فرنسا الفرنسية، فهل يعني ذلك أن الكتب كانت ترد إلى ديوان الإنشاء المملوكي بكل هذه اللغات مع أن مصادر ديوان الإنشاء المملوكي تحدثت عن لسان إفرنجي واحد؟.

يبدو أن مصطلح اللسان الفرنجي، مصطلح عام يطلق على اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات الأوروبية: الفرنسية والإيطالية والإسبانية (١٣٩).

١٣٥. انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢١/٨.

١٣٦. المصدر السابق: ١٢٣/٨.

١٣٧. المصدر السابق: ١٢٣/٨.

١٣٨. انظر: سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية: ٤٨٢/١.

١٣٩. انظر: J.Wansbrough, "Venice and Florence In The Mamluk Commerical Privileges" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol, XXVIII (1965) P.487.

وانظر : أحمد دراج: " الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية (مصر الاسلامية)", بحث منشور ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، دار الكتب القاهرة، ١٩٧٠م: ص ١٢٦.

أما أهم ما ترجم عن اللسان الفرنجي فإنه على النحو الآتي:

أ- التقارير الاستخبارية، فقد ذكر شافع بن علي صاحب سيرة المنصور قلاوون أن أحد عيون المماليك بعكا وهو جوان خَنَدَق، كتب إليه أن أحد أمراء المنصور قلاوون هو كوندك قد كتب إلى مقدمي الإفرنج بعكا بأنه عازم على قتل قلاوون، فعندما وصلت رسالة الجاسوس جوان إلى قلاوون: "رسم (احتجز) صاحب فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب الديوان على الترجمة، وهم: السابق والاسبتاري كاتب الانبرطور بحيث لم ينفس لهم في الاجتماع بأحد من خلق الله تعالى خيفة أن يشيع هذا الخبر" (١٤٠).

ب- الهدن، ومثال ذلك الهدنة التي وقعها المنصور قلاوون مع الجنوية، وقد حررت فصول هذه المعاهدة: "في يوم الأحد ثاني جمادى الأول، سنة تسع وثمانين وستمئة... وقرأ ما فيها من القلم الفرنجي المنقول إلى العربي شمس الدين عبدالله المنصوري، وترجم عليه لتحقيق التعريب، والشهادة بصحته سابق الدين الترجمان، وعزّ الدين أبيك الكبكي الترجمان في التاريخ المذكور" (١٤١).

ج- الأيمان، وهي متعلقة بالهدن والموادعات التي تقع بين المالك والفرنج وعادة ما يقوم الترجمة بترجمتها، ثم يحلف عليها الرسل الموفدون من الفرنج، وتؤخذ خطوطهم عليها بحضور الأساقفة (١٤٢).

١٤٠. شافع بن علي، الفضل المأثور: ورقة ٥٩ ظ - ٦٠ و.

١٤١. ابن عبدالظاهر، تشریف الأيام والعصور: ١٦٨.

١٤٢. انظر: المصدر السابق: ١٦٨.

د- الرسائل المتعلقة بموضوعات تجارية أو سياسية أو دينية
كرسالة: "دوج البنادقة ميكائيل على يد قاصده نُقولا البندقي في سادس
عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين
سنقر، وسيف الدين سودون، التراجمة بالأبواب الشريفة" (١٤٣).

هـ- المعاهدات التجارية الموقعة بين المماليك والبنادقة والجنوبيين
والفلورنسيين (١٤٤).

-الحبشية: تدل ملاحظات العمري والمقريزي والقلقشندي وكلهم من ذوي
العلاقة بديوان الإنشاء المملوكي على معرفة دقيقة بهذه اللغة ولهجاتها
المختلفة فالعمري يذكر عن الأحباش: "مع كونهم جنساً واحداً ينطقون باللسنة
شتى تزيد على خمسين لساناً، وقلمُ قرائتهم واحد وهو الحبشي، يكتب من
اليمين إلى الشمال، عدته ستة عشر حرفاً، وكل حرف سبعة فروع، الجملة من
ذلك مائة واثنان وثمانون حرفاً خارجاً عن حروف آخر مستقلة بذاتها لا تفتقر
إلى حرف من الحروف المعدودة المتقدم ذكرها، مضبوط بحركات نحوية
متصلة به لا منفصلة عنه" (١٤٥).

وعلى الرغم من هذه المعرفة باللسنة الحبش المتعددة وقلمهم الواحد إلا أن
القلقشندي لم يوضح لنا اللسان الذي كتب به الأحباش للمماليك، يقول: "الكتب
الواردة عن ملوك الحبشة، والعادة فيها أن ترد في قطع باللسان" (١٤٦).

١٤٣. القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢٣/٨.

١٤٤ انظر: Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorentino, PP.185-225

وانظر سمير الدروبي: "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره" مجلة مجمع
اللغة العربية الأردني، العدد ٥٠، السنة ١٩٩٦م: ص ٧٤.

١٤٥. العمري، مسالك الأبصار : ٢٥/٤؛ وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٠٥/٥؛ المقريزي، الإلمام
بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام: ١٤ (طبعة أوروبا).

١٤٦. القلقشندي، صبح الأعشى: ١١٩/٨.

ولكن يظهر أن الأحباش كانوا يرسلون رسائلهم إلى المماليك باللغة الحبشية التي حفظ لنا ابن عبد الظاهر بعضاً منها بعد ترجمتها من الحبشية إلى العربية^(١٤٧)، كما أشار ابن إياس في حوادث سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م إلى وفاة "يحيى بن شاد بك المعروف بقاصد الحبشة، أحد أجناد الحلقة، وكان ريساً حشماً عارفاً بلغة الحبش^(١٤٨)، مما يدل على وجود قاصد(سفير) عند المماليك لديه الخبرة التامة بلغة الأحباش، يضاف إلى ذلك ملاحظة المقرئ عن مسلمي الزيلع الذين تكلموا بالعربية والحبشية^(١٤٩). من جانب، وملاحظة الرحالة سورينو عن لغة طائفة الرهبان الأحباش المقيمين بالقدس الشريف في العصر المملوكي من جانب آخر^(١٥٠).

- لغة التكرور: فعلى الرغم من العلاقات الثقافية والدينية والاقتصادية الوطيدة بين المماليك والتكرور^(١٥١) إلا أن المصادر لم تذكر معلومات موضحة عن لغة التكرور عامة أو عن لغة مراسلاتهم مع المماليك بشكل خاص، إلا أن هناك إشارات إلى وجود ترجمان للغة التكرور في الدولة المملوكية^(١٥٢).

وختاماً فإن حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي قد أدت دوراً إيجابياً كبيراً، حيث ساهمت هذه الحركة في وقف زحف اللغات الأعجمية على اللغة العربية، التي فقدت مكانتها لغة علمية وإدارية في مشرق العالم الإسلامي حتى العراق نفسه الذي يُعد من أمتع حصون العربية تلاشت هذه اللغة عنه تماماً، وذلك ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله: "وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق

١٤٧. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور: ١٧٠-١٧٣.

١٤٨. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢٠٦/٣.

١٤٩. المقرئ، الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام: ٩-١١.

١٥٠. انظر: Suriano, Treatise on the Holy Land, P.90.

١٥١. انظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٣٥-٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى

: ١١١-١١٥/٨.

١٥٢. انظر: المقرئ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك: ١١٢-١١٣، وانظر:

Levtzion, "mamluk Egypt and Takrur (west Africa)" P. 184.

لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخرسان وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم... وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق لها أثر ولا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسه في المجالس" (١٥٣).

وقد بقي كثير من سلاطين المماليك وأمرائهم مخلصين للغتهم التركية مقدمين لمن يعرفها ويتكلم بها^(١٥٤)، بل إن بعضاً من سلاطينهم: "كان فصيحاً باللغة التركية وباللغة العربية لا بأس به" (١٥٥).

وفوق ذلك فإن الهجرة الجماعية لطوائف المغول والأكراد والأتراك والجراكسة لأرض الدولة المملوكية كانت خطراً على العربية، مما حدا بكثير من اللغويين إلى التباري في تأليف المعاجم الأعجمية^(١٥٦).

وفي ضوء ما تقدم فإن الباحث يدرك أهمية حركة الترجمة والتعريب، ولولا ذلك لتغلبت لغة الأتراك على العربية، وتحولت لغة الإدارة والحكم إلى اللغة التركية.

وقد ساهمت حركة الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي في نقل كثير من مصطلحات الكتابة وأساليبها ومصطلحاتها العربية إلى دواوين الإنشاء المغولية والتركية^(١٥٧) والفارسية^(١٥٨).

١٥٣. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ٣٨٠.

١٥٤. انظر ابن إلياس، بدائع الزهور: ٣٧٤/٤، ٨٩-٨٨/٥.

١٥٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٤٥٨/١٥.

١٥٦. انظر ابن منظور، لسان العرب (المقدمة).

١٥٧. انظر: فريدون بيك، مجموعة منشآت السلاطين: ١٩٠-٢١٤، ٢٣٨-٢٤٤، ٣٢٧؛ وانظر:

سامي، قاموس تركي: ٢٤/١، ٣٨، ٧٢، ٨٤، ٩٤، ١١١، ١٢١، ١٣٦-١٣٧، ١٤٠، ١٥٧،

١٦٦، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤١٥، ٤٤٦، ٦٦٢، ٤٤٤، ٦٧٨، ٧٠٨، ٧١٠، ٧٢٤، ٤٥٧،

٧٧٨: ٧٧٨، ٨٣٠/٢، ٨٧٨، ٩١٠، ٩٢٨-٩٢٩، ٩٤٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ١٠٠٥، ١٠٢٤، ١٠٢٨،

١٠٤١، ١١٣٦، ١١٣٩، ١١٢٤، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٩٨، ١٣٢٤، ١٣٣٣،
١٣٤١، ١٣٥٦، ١٣٥٨، ١٣٦٢، ١٢٦٢، ١٣٦٨، ١٣٧٣، ١٣٨٩، ١٣٩٤، ١٤٠٢، ١٤٠٤،
١٤٠٧، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤٢٨، ١٤٣١، ١٥٤٨.

١٥٨. انظر حسن أنوري، اصطلاحات ديواني: ٣٢، ٣٢، ٣٣، ٥٦-٥٧، ٩٢-٩٣، ١٣١، ١٣٥،
١٤١-١٨١..

فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع (العربية والفارسية والتركية)

- من هم التتار؟ ترجمة: رشيدة رحيم الصبروتي، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

أحمد دراج:

- المماليك والفرنج. ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١م.

- الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية (مصر الإسلامية)، بحث منشور ضمن : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١٩٦٩م، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

أحمد مختار العبادي:

- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام . دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦.

آشتور. أ:

- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى. ترجمة: عبد الهادي عبله، ط ١، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى، ط٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤م.

بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش:

- تاريخ الترك في آسيا الوسطى. ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو، المصرية القاهرة، ١٩٥٨م.

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي. نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م.

الباز العريني:

- المماليك. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م.

بروكلمان، كارل:

- تاريخ الأدب العربي، القسم السادس (١٠-١١). نقله إلى العربية: حسن محمود.

بور، آيلين:

- نماذج بشرية من العصور الوسطى. ترجمة : محمد توفيق حسين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م.

بوزوث، كليفور د :

- الأسر الحاكمة في الإسلام. ترجمة: حسين علي اللبودي، ط ١، مؤسسة الشراع، الكويت، ١٩٩٤م.

بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

- زبدة الفكرة، مخطوط المتحف البريطاني رقم (٣٣٢٥).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، ط ١، عالم الكتب بيروت ، ١٩٩٠م.

- المنهل الصافي والمستوفي على الوافي (١-٦) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون ط ١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م):

- الوزراء والكتاب. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، ط ١، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.

ابن حبيب الحلبي، حسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٦ - ١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر. تحقيق: حسن حبشي، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسن أنوري:

- اصطلاحات ديواني، إيران، بلا تاريخ.

حكيم أمين عبد السيد:

- قيام دولة المماليك الثانية. دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- الحلبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد (ت ٩٠٩هـ / ق ١٥م)

- التبيان في اصطلاح أهل الزمان. مخطوط مكتبة الدولة ببرلين رقم (٨٦٤١).

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٢م):

- الإدراك للسان الأتراك. اسطنبول، ١٩٣١م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (ت ٩٠٩هـ / ١٥م):

- المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الانشا. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

رنسيمان، ستيفن:

- تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني، ط٣، مكان النشر غير مذكور، ١٩٩٣م.

سامي. ش:

- قاموس تركي: (كافة لغات تركية آيلة تركيده مستعمل كلمات واصطلاحات عربية وفارسية وأجنبية يي أوك رق لسانمذك مكمّل لغت كتابيدر).

معارف نظارت، اسطنبول ، ١٣١٧هـ.

السباعي، محمد:

- عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشا. ط١، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١م.

السخاوي، شمس الدين عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م):

- التبر المسبوك في ذيل السلوك. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بلا تاريخ.

- الذيل على رفع الإصر. تحقيق : جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام . تحقيق: بشار عواد وعصام الحريستاني وأحمد الخطيمي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٥م.

سعيد عبدالفتاح عاشور:

- الحركة الصليبية. ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

سمير الدروبي:

- " من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره".
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٠، السنة العشرون،
١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

شافع بن علي الكنائي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م):

- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية.
تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، ط٢، الرياض، ١٩٨٩م.

- الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة
البودليان، مجموعة مارش رقم (٤٢٤).

ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. المطبعة الجمهورية،
باريس، ١٨٩٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٠ م):

- تاريخ الملك الظاهر. تحقيق: أحمد حطيط، فرانز شتاينر بفيسبادن،
١٩٨٣ م.

شيخ الربوة الدمشقي، محمد بن أبي طالب الأنصاري
(ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م):

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى،
بغداد، بلا تاريخ.

صبي لبيب:

- "التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى"، المجلة
التاريخية المصرية، المجلد الرابع العدد الثاني، ١٩٥٢ م.

- الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية"، نشر ضمن كتاب: مصر
وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط ١، دار الفكر
للدراسات، القاهرة - باريس ١٩٨٦.

الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أبيك (ت ٦٧٣ هـ / ١٣٦٧ م):

- أعيان العصر وأعيان النصر. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف
أفندي رقم (١٨٠٩)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،
فرانكفورت، ١٩٩٠ م.

- الغيث المسجم في شرح لامية العجم. ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٧٥ م.

- نُكْتُ الهميان في نُكْتُ العميان. وقف على طبعه: أحمد زكي،
المطبعة الجمالية، القاهرة ١٩١١م.

- الوافي بالوفيات. تحقيق: هلموت ريتز وآخرون، فرانز شتاير
بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦م.

عبدالباسط، زين الدين عبدالباسط الغرسي (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م):

- نيل الأمل في ذيل الدول. مخطوط البودليان باكسفورد
رقم (٢٨٥)، (٦١٠).

- ابن عبدالظاهر، محيي الدين عبدالله (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

- تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق: مراد كامل
ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القاهرة ١٩٦١م.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق: عبدالعزيز الخويطر،
ط١، الرياض، ١٩٧٦م.

عبدالمنعم ماجد:

- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت ١٩٦٦م.

ابن عربشاه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م):

- عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ط١،
مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

علي السيد علي:

- **القدس في العصر المملوكي**، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة - باريس ١٩٨٦م.

العمرى، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- **التعريف بالمصطلح الشريف**. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٢م.

- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. مخطوط أحمد الثالث، طبقاً بوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).

العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٤٩هـ/١٤٥١م):

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ) تحقيق: عبدالرزاق القرموط، مطبعة علاء، القاهرة ١٩٨٥م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ - ٨٥٠هـ) . تحقيق : عبد الرزاق القرموط، ط ١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٨٩م.

الغوري، الأشرف قانصوه (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م):

- **مجالس السلطان الغوري** . تحقيق: عبدالوهاب عزام، ط ١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤١م.

الفاسي، محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م):

- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. ط ١، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٩م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

- تاريخ ابن الفرات. عني بتحرير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.

الفردوسي، أبو القاسم منصور (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م):

- الشاهنامه. ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق: عبدالوهاب عزام، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

فريدون بيك، محمد (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م):

- مجموعة منشآت السلاطين. القسطنطينية، ١٢٦٤هـ.

ابن أبي الفضائل، المفضل (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- النهج السديد والدر الفريد فيما يتعلق بعد تاريخ ابن العميد. تحقيق E. Blochet، باريس، ١٩١٩-١٩٢٩م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م):

- تاريخ ابن قاضي شهبة. تحقيق عدنان درويش، ط١، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٩٤م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن الطبعة الأميرية، بلا تاريخ.

القلقشندي، نجم الدين (ت بعد ٨٤٦هـ/١٤٢٢م، وهو ابن صاحب "صبح الأعشى")

- قلائد الجمان في مصطلح الزمان. مخطوط المتحف البريطاني رقم (١٠٢٠).

الكاشغري، محمود بن الحسين (ت في النصف الثاني من ق ١١هـ/١١م):

- ديوان لغات الترك. دار الخلافة العلية، ١٣٣٣هـ.

- ديوان لغات الترك. مكتبة الفاتح، مخطوط رقم (٤١٨٩).

كاهن، كلود:

- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية. ترجمة: أحمد الشيخ، ط ١ سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

- البداية والنهاية. ط ٢، مكتبة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.

مؤلف مجهول (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي):

- مائة وثيقة. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٤٠).

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

- إغاثة الأمة بكشف الغمة. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.
- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك. تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. تصحيح محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرئية. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م):
 - لسان العرب. دار صادر بيروت، بلا تاريخ.
 - النعمي عبدالقادر (ت ٩٢٧هـ ١٥٢٠م):
- الداس في تاريخ المدارس. تحقيق جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
- نهاية الأرب في فنون الأدب . مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، عن طبعة دار الكتب المصرية ، بلا تاريخ.
- النويري محمد بن القاسم (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية. تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م.

هايد، ف:

- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. عربيه من الترجمة الفرنسية : أحمد محمد رضا، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٥-١٩٩٤م.

الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):

- جامع التواريخ (تاريخ المغول). ترجمة: محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبدالمعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بلا تاريخ.

اليوسفي: موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر. تحقيق ودراسة: أحمد حطيظ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية (اللغات الأوروبية)

Al-Droubi, Samir, *A Critical Edition of and Study on Ibn Fadl*

Allah's manual of Secretary Ship "Al Tarif Bi'l Mustalah.

Al-Sharif", (Mu'tah University, 1992)

Amari, *M I diplomi del R Archivio Fiorentino*, (Firenze, 1863).

Atiya, A.S *Egypt and Aragon* (Lepzig, 1938).

Brown, E.G, *A literary History of Persia* , Volume III, The Tatar Dominion (1265-1502), (Cambridge,1964).

Cahen, CI, La *Chronique de Kirtay et Les Francs de Syrie*, in journal Asiatique, Janvier – Mars 1937.

Clauson, S.G, *Turkish and Mongolian Studies*, (London, 1962).

Ernst, H, *Die Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters*, (Wiesbaden, 1960).

Frescobaldi, Gucci and Sigoli, *Visit To The Holy Places*, (Jerusalem, 1948).

Goitein, S.D, *A Mediterranean Society* (Berkeley and Los Angeles (1967-1988).

Harff, A.V, *The Pilgrimage of A.V. Harff 1496- 1499*, ed. By M. Letts (London, 1464).

Houtsma, M. Th, *Ein Türkisch-Arabisches Glossar*, (Leiden,1894) .

Latrie,M , “*Traite des Paix et de Commerce*”, in *Document Diveres*.

ed. H. Plum Imperium (paris, 1865)P P . 72-94.

Levtzion, N, “*Mamluk Egypt and Takrur (West africa)*” in M.

Sharon (ed), Studies in Islamic History and Civilization in Honour
of Professor David Ayalon (Leiden, 1986),PP 183-207

Maximiliano A. Alarcon Y. Santon Y. Ramon Garcia De Linares, *Los
Documentos Arabes Diplomaticos del Archivo De La Corona
De Aragon*, (Madrid, 1940).

Risani, N. *Documenti E. Firmani*, (Gerusalemme, 1931).

Suriano, F.F, *Treatise on The Holy Land* (jerusalem, 1949).

Thenaud, De Jean, *Le Voyage D’ Outremer*, (Paris, 1884).

Wansbrough. J “*Venice And Florence In The Mamluk Commercial
Privileges*” Bulletin of the School of Oriental and African Studies,
Vol,x viii (1965) P.847.

Zajackowski, *Bulgat Al- Mustaq Fi Lugat At-Turk Wa-L-Qifzaq*,
(Warszawa,1958).

